الجوهر الأسنى

في تراجم علماء وشعراء البوسنة

تأليف

محمد بن محمد البوسنوي الخانجي

تقديم وتعليق

محمد م. الأرناؤوط

الكويت

2010

راجعه

عبدالعزيز محمد جمعة

ريم محمود معروف

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

الإخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

الطبعة الثالثة

تصدر بمناسبة انعقاد الدورة الثانية عشرة للمؤسسة

دورة خليل مطران ومحمد علي/ ماك دزدار

سراييفو/ البوسنة

١٩ - ٢١ أكتوبر ٢٠١٠م.

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (965+)

E-mail : kw@albabtainprize.org

التصديـر

يعدُّ محمد خانجيتش (١٩٠٦ - ١٩٤٤م)، المعروف في الوطن العربي والعالم الإسلامي بـ (محمد الخانجي)، عالمًا من أكبر علماء البوسنة وحلقة وصل بين الشرق والغرب.

هذا العالم المولود في مدينة سراييفو بدأ مسيرته العلمية منذ نعومة أظفاره، فبعد أن أنهى تحصيله العلمي في مدارس البوسنة والهرسك، وأتقن اللغات (العربية والفارسية والتركية)؛ التحق بجامعة الأزهر، فتابع تحصيل العلوم الدينية من (فقة وحديث وتفسير) إضافة إلى العلوم الدنيوية من (تاريخ وأدب... إلخ).. ومن ثمَّ رجع إلى مسقط رأسه محملاً بكل ذلك مع معرفة واسعة بواقع العالم الإسلامي وقضاياه وتياراته، مما هيّأه لأن يصبح رمزًا من رموز البوسنة في القرن العشرين.

وعلى الرغم من الظروف القاهرة والعصيبة التي تعرضت لها بلاده إبّان الحرب العالمية الثانية، إلا أنه أنجز الكثير من المؤلفات في شتى أنواع العلوم الدينية والإنسانية. ففي هذا الإطار يبرز كتابه (الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة) الذي نشر باللغة العربية، وهو يضم أكثر من مائتي سيرة وترجمة لأولئك الأعلام والشعراء الذين كانت لهم اليد الطولى في تحقيق التواصل بين الشرق والغرب، فنراه يتناول في كتابه هذا تاريخ انتشار الإسلام في أوروبا وكيفية اعتناق الناس فيها للإسلام، هذا بالإضافة إلى وصفه لتلك البلاد وجغرافيتها مع وصف للمسلمين فيها وذكر حالتهم الدينية والعلمية أيضًا، ثم ترجم بعد ذلك لكل من عُرِفَ فيها من العلماء والشعراء ورتبت تلك التراجم على حروف الهجاء.

ويسرنا في مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن نضع بين يدي القراء واحدًا من مؤلفاته القيمة (الجوهر الأسنى) في طبعة جديدة اشتملت على هوامش تشير إلى الأسماء والأماكن في صورتها الحالية، إضافة إلى تتبع الحالة العلمية للعلماء والشعراء الذين ذكرهم الخانجي في الطبعة الأولى، ولا بد من الإشارة كذلك إلى أن هناك طبعة (للجوهر الأسنى) أصدرها د.عبدالفتاح الحلو عام ١٩٩٢ في القاهرة حرص فيها على ترجمة الأشعار الواردة في الكتاب إلى العربية وجرت الإشارة إليها في هذه الطبعة الجديدة التي تصدرها المؤسسة، أما الطبعة الثانية فصدرت في بيروت بتحقيق سيد كسروي حسن عام ١٩٩٣، وهناك الكثير من مؤلفاته المحفوظة في مكتبة الغازي خسرو بك في سراييفو التي تعد مصدرًا أساسيًّا لكل دارس وطالب علم نظرًا لأهمية ما احتوته من كنوز الكتب والمخطوطات.

وختامًا؛ أتقدم بالشكر للباحث الجاد الدكتور محمد موفاكو على ما بذله من جهد طيب لإنجاز هذا العمل.

والحمد لله من قبل ومن بعد،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ١ من شعبان ١٤٣١هـ

الموافق ١٣ من يوليو ٢٠١٠م

****

الخانجي الأزهري
وخانجيتش البوسنوي

مع أن الاسمين هما لشخص واحد إلا أنه يمكن القول إنه لدينا في العالم العربي الإسلامي مسافة واسعة ما بين الطالب الأزهري محمد الخانجي، الذي نشر في القاهرة وهو في الرابعة والعشرين من عمره كتاب «الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة»، وبين الباحث البوسنوي محمد خانجيتش الذي برز في سراييفو بعد عودته من القاهرة بذخيرة علمية ومعرفة جيدة بواقع العالم الإسلامي ما جعله يشتهر بسرعة ويصبح من رموز البوسنة في القرن العشرين.

وإذا كان خانجيتش البوسنوي قد دلّل بعد عودته من القاهرة إلى سراييفو على مدى تواصل البوسنة مع العالم الإسلامي وقضاياه وتياراته الجديدة، كما تشهد على ذلك كتاباته الغزيرة، إلا أن الخانجي الأزهري لم يوفق في أن يكون كتابه الرائد (الجوهر الأسنى) مدخلاً إلى تواصل معرفي من الجانب العربي باتجاه البوسنة. فعلى الرغم من قيمة ما جمعه في هذا الكتاب إلا أنه لم يأت بعده من يتابع عمله في هذا المجال على الرغم من أنه كشف في كتابه عن عشرات العلماء البشانقة الذين عاشوا وعملوا وألّفوا ما ألّفوه في أمهات المدن العربية (حلب و دمشق والقدس والقاهرة إلخ). أما خانجيتش فلم يعتبر أن عمله في هذا المجال قد انتهى، بل إنه تابعه في سراييفو ونشر طبعة مزيدة من كتابه باللغة البوسنوية، بالإضافة إلى عشرات المقالات والدراسات.

وبعبارة أخرى، ففي الوقت الذي عاد فيه الخانجي الأزهري إلى سراييفو ليؤلف وينشر ويصبح عالمًا مشهورًا هناك لم يكن لدينا في القاهرة وغيرها من يتابع عطاء خانجيتش وأمثاله من العلماء المتنورين والمجدّين في البوسنة التي كانت تشهد نهوضًا

ثقافيًّا جديدًا للمسلمين. وقد استمرت هذه الحالة عقود عدة إلى أن اندلعت الحرب المأساة في البوسنة عام ١٩٩٢ وصدمت العالم في الغرب والشرق، فأصبحت الكتب المتعلقة بالبوسنة مرغوبة حيث صدر بالعربية أكثر من عشرين كتابًا خلال سنوات الحرب (١٩٩٢–١٩٩٥) ما بين مؤلف على عجل ومترجم ومحقق. وفي هذا السياق فقد تذكر بعض الباحثين كتاب الخانجي الأزهري «الجوهر الأسنى» فأعيد نشره مرتين، الأولى في القاهرة عام ١٩٩٢ بتحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو[١] والثانية في بيروت عام ١٩٩٣ بتحقيق سيد كسروي حسن[٢]. ومن المؤلم أن لا نجد لا في الطبعة الأولى و لا في الطبعة الثانية أية معلومة عن المؤلف سوى أنه الطالب البوسنوي الذي جاء إلى القاهرة للدراسة في الأزهر. وإذا كان د. الحلو يكتفي بالاعتراف بهذا فإن المحقق سيد حسن ينسب هذا «التعتيم» على المؤلف إلى أنه «ليس مصريًّا حتى أتمكن من السؤال عنه عن طريق بعض أفراد أسرته» (ص ٣٣).

وإذا كانت هذه صورة الخانجي الأزهري كما عُرِفَت وبقيت في الوطن العربي عقود عدة فإن المأمول من هذه الطبعة الجديدة أن تعرّف القارئ العربي على خانجيتش البوسنوي، وبالتحديد على الباحث المجد والعالم المتنور الذي حقّ له أن يمثل البوسنة على مستوى العالم الإسلامي في القرن العشرين.

ولد محمد خانجيتش M. Hanzic في سراييفو عام ١٩٠٦، أي حين كانت البوسنة لا تزال تتبع اسميًّا الدولة العثمانية، ومن ثم عايش في طفولته ضم البوسنة إلى امبراطورية النمسا والمجر (١٩٠٨)، كما شهد في فتوته (١٩١٨) انضمام البوسنة إلى الدولة الجديدة (يوغسلافيا) التي تشكلت على أنقاض الإمبراطورية كما عايش في شبابه (١٩٤١) انضمام البوسنة إلى «دولة كرواتيا المستقلة» التي قامت على أنقاض يوغسلافيا الأولى. وفي غضون ذلك كان خانجيتش قد تخرج من المدرسة الشرعية والتحق بالأزهر في ١٩٢٦ حيث تخرج منه عام ١٩٣٠. وبعد عودته إلى سراييفو اشتغل في مدرسة الغازي

---

(١) محمد بن محمد البوسنوي الخانجي، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة، تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو، القاهرة (هجر للطباعة والنشر) ١٩٩٢.

(٢) محمد بن محمد بن محمد البوسنوي، الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة، تحقيق سيد كسروي حسن، بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٩٣.

خسرو بك، حيث درّس اللغة العربية والتفسير والحديث والفقه، وانتقل في العام الدراسي ١٩٣٩ – ١٩٤٠ إلى المعهد العالي للدراسات الإسلامية الذي كان قد تأسس آنذاك، حيث درّس التفسير وأصول الفقه. وخلال تلك السنوات أصبح من أبرز أعضاء جمعية علماء المسلمين «الهداية» ومن أبرز الكتّاب في مجلتها التي تحمل اسمها. وفي ذروة نشاطه العلمي أدخل إلى المستشفى لإجراء عملية بسيطة (استئصال الزائدة الدودية) ولكنه توفي فجأة في المستشفى في ١٩٤٤/٧/٢٩، مما أثار الشكوك في مثل هذه الوفاة.

ومع هذا يمكن القول إن خانجيتش كان من الشخصيات المعروفة في البوسنة للأجيال المخضرمة أو للجهات المعنية بالثقافة الشرقية /الإسلامية، ولكنه الآن أصبح في متناول الجميع بعد أن صدرت مؤخرًا الأعمال المختارة له في ستة مجلدات بإشراف أكاديميَّيْن معروفيْن في البوسنة هما أسعد دوراكوفيتش وأنس كاريتش[1]. وإذا ما عرفنا أن هذه المجلدات الستة جمعت أكثر من ثلاثة آلاف صفحة لأدركنا أننا بالفعل أمام شخصية غير عادية أخذًا بعين الاعتبار المواضيع التي أثارها والأعمال التي ألفها ونشرها سواء في البوسنوية أو العربية خلال عمره القصير ١٩٠٦– ١٩٤٤.

ولا شك أن نشأة خانجيتش في فترة مخضرمة (عثمانية/ نمساوية/ يوغسلافية) وفي عاصمة متنوعة الثقافة (الشرقية والغربية) مثل سراييفو ومعرفته الجيدة باللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية) واهتماماته المتعددة (اللغة والأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية) قد ساعدته على أن يكوّن ثقافة واسعة تجمع ما هو محلي/ بوسنوي مع ما هو شرقي وغربي. ومن ناحية أخرى فإن ذهابه إلى القاهرة للدراسة في الأزهر إنما جاء في فترة مهمة (نهاية العشرينيات) عرفت فيها القاهرة مختلف التيارات الليبرالية والإصلاحية الإسلامية، ولذلك فإنه عاد إلى البوسنة ليحمل معه هذه الروح الجديدة إلى المسلمين في البوسنة، الذين كانوا يعايشون فترة تحولات صعبة بالنسبة إليهم.

وهكذا إذا ما أخذنا قائمة الأعمال المنشورة لخانجيتش في المجلد الأخير من «الأعمال المختارة» لوجدنا أن عددها يقارب الـ٣٥٠ ما بين كتاب ودراسة ومقال أو تعليق. ويلاحظ هنا أن أول مقال كتبه خانجيتش كان في القاهرة خلال دراسته في الأزهر

(1) Mehmed Handzic, Izabrana djela I-VI, Sarajevo (Ogledalo)1999.

ونشره عام ١٩٢٨ في مجلة «نوفي بهار» Novi Behar البوسنوية المعروفة إنما كان عن مؤسس القاهرة جوهر الصقلي وما يقال عن أصله السلافي. ويلاحظ هنا أيضًا أن هذه القائمة لم تتوقف عند الأعمال التي نشرها حتى وفاته في ١٩٤٤ بل إنها امتدت حتى ١٩٩٥ حيث إن بعض دراساته أعيدت طباعتها خلال الستينيات والسبعينيات والثمانينيات والتسعينيات، أي أن خانجيتش بقي حاضرًا ومؤثرًا طيلة الدولة الجديدة (يوغسلافيا الاشتراكية) التي ضمت البوسنة أيضًا في الفترة من ١٩٤٥-١٩٩٢.

ومن ناحية أخرى يلفت النظر في هذه القائمة تلك الأعمال غير المنشورة التي يصل عددها إلى خمسة عشر. ويلاحظ هنا أن معظم هذه الأعمال باللغة العربية، وبعضها يوضح بحق الخسارة التي لحقت بالبوسنة من جراء الوفاة المبكرة لخانجيتش. وهكذا لدينا «مجمع البحار في تاريخ العلماء والأسفار» الذي هو الجزء الأول من ثلاثة أجزاء أراد بها خانجيتش تكملة كتاب حاجي خليفة «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» الذي أنجزه خانجيتش قبل ١٩٣١، و«شرح تيسير الوصول إلى جامع الأصول» لابن الأثير الذي أنجزه خانجيتش في ١٩٣٠، و «رسالة الحق الصحيح في اتباع نزول سيدنا المسيح» التي أنجزها خانجيتش خلال وجوده في القاهرة ١٩٢٩، و«رحلة إلى مصر» من نتاج إقامته هناك نأمل في إصدارها قريبًا، و«تفسير آيات الأحكام في سورة النساء» إلخ. ومن بين مخطوطاته باللغة البوسنوية تجدر الإشارة إلى «محاضرات في أصول الفقه» و «حياة رسول الله محمد» لشبلي نعماني الذي ترجمه من العربية.

وإذا ما عدنا إلى مئات الدراسات والمقالات المنشورة لخانجيتش خلال ١٩٢٨-١٩٤٤، والموجودة الآن في «الأعمال المختارة»، لوجدنا أنها تندرج في موضوعات كثيرة تنم عن الثقافة الواسعة للمؤلف والروح الريادية / الاجتهادية له:

١ - التفسير (علم التفسير، شرح وترجمة بعض السور القرآنية).

٢ - الحديث (علم الحديث، شرح وترجمة بعض الأحاديث النبوية).

٣ - الفقه.

٤ - أصول الفقه.

٥ – علم الكلام.

٦ – التاريخ (تاريخ الإسلام، تاريخ الإسلام في البوسنة، تاريخ البوسنة خلال الحكم العثماني).

٧ – الأدب (الأدب العربي، الأدب البوسنوي المكتوب بالحروف العربية).

٨ – السير والأعلام (من تاريخ الإسلام وتاريخ البوسنة).

٩ – الحكم والأمثال.

١٠ – الحضارة العربية.

١١ – من تاريخ المولد النبوي في الإسلام وفي البوسنة.

١٢ – الوطنية والقومية والإسلام.

١٣ – المسلمون في أوروبا (بولونيا، المجر..إلخ).

١٤ – المخطوطات العربية في البوسنة.

١٥ – التصوف والتكايا الصوفية في البوسنة.

١٦ – إصلاح التعليم الديني في البوسنة.

وفي الواقع، إن الكثير من الدراسات والمقالات في هذه الموضوعات الكثيرة التي اشتغل فيها خانجيتش كانت تعبر عن أصالة وريادة ونظرة وسطية للقضايا التي كانت تهم وتشغل المسلمين في البوسنة آنذاك. ومع ذلك يمكن أن نركز هنا على محورين اثنين لما نرى فيهما من قيمة خاصة بالنسبة إلى ذلك الوقت.

أما المحور الأول فهو يعبر عن الروح الجديدة التي حملها خانجيتش من القاهرة آنذاك، والتي تتعلق بالكثير من القضايا الجديدة /القديمة التي كانت تشغل المسلمين في البوسنة. فقد كان المسلمون في البوسنة قد خرجوا لتوهم من الحكم العثماني الطويل، حيث انقسم علماء المسلمين إلى محافظين ومصلحين، بينما كان عامة المسلمين تحت تأثير الأفكار الجديدة (الليبرالية والعلمانية والاشتراكية). ومن هنا فقد ركز خانجيتش

في مقالاته الكثيرة، بالاستناد إلى الانفتاح الذي عايشه في القاهرة، على تقديم صورة مقبولة للإسلام في ما يتعلق بالعمل والزواج والاختلاط واللباس إلخ. ولكن مع انفتاحه في الكثير من هذه القضايا التي كانت حيوية لمنطقة في قلب أوروبا كالبوسنة إلا أنه بقي متشددًا في بعض القضايا التي كان يستفتى فيها كشرب البيرة وفوائد البنوك. ويلاحظ بين أوراقه المطبوعة في «الأعمال المختارة» رسالة له من شيخ الأزهر مؤرخة في ١٩٣٩/٢/٢٨ تقطع بحرمة الربا، مما يدل على أن خانجيتش قد حافظ على صلته مع الأزهر في هذه الأمور.

وأما المحور الثاني المهم في رأينا، الذي كتب فيه بغزارة وأصالة، فهو تاريخ البوسنة وما يتعلق به من ثقافة تميزها عن غيرها. وتبرز أهمية هذا المحور في الظروف الصعبة التي عاشها المسلمون خلال ذلك الوقت. فقد وجد المسلمون أنفسهم في دولة لا ترغب بهم كما هم، أو قد تقبل بهم كصرب أو ككروات فقط على أساس أن الحكومة المركزية كانت ترفض الاعتراف بوجود هوية خاصة للبوسنة أو للبشانقة. ومن هنا فقد كان لكتب ودراسات ومقالات خانجيتش التي تتعلق بالبوسنة وتاريخها وثقافتها أهمية كبيرة إذ إنها أحيت باستمرار الوعي بوجود بوسنة متميزة وبوجود ثقافة متميزة للمسلمين في البوسنة. وفي هذا الإطار يمكن أن نذكر كتابه «الجوهر الأسنى» و«المؤلفات الأدبية للمسلمين في البوسنة والهرسك» و «انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك»..إلخ. وهكذا في الوقت الذي كانت تصادر فيه هوية البشانقة في يوغسلافيا الأولى مع ازدياد الضغوط عليهم للتعبير عن أنفسهم كصرب أو ككروات، يقوم خانجيتش بنشر مقالته «شعوري حول البشانقة» التي يتناول فيها ما كتبه العالم الحلبي حسن أفندي الملقب بـ «شعوري» (توفي ١١٠٥هـ/١٦٩٤م) عن البشانقة، وكأنه بهذا كان يؤكد على الوعي بهذا الاسم التاريخي.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن هذا الاسم التاريخي (البشانقة) عاد إلى الاستخدام الواسع والرسمي بعد استقلال البوسنة في ١٩٩٢، وبالتالي فقد صدرت «الأعمال الكاملة» لخانجيتش في وقت (١٩٩٩) أصبح يسمح لكاتب المقدمة (د. أسعد دوراكوفيتش) أن يشيد بما كان لخانجيتش من دور في تأصيل الوعي بالبوسنة وثقافتها المتميزة.

وبالعودة إلى الكتاب الذي بين أيدينا، وإلى المجال الذي أسهم فيه الخانجي بتعريف الوطن العربي على هذا الإسهام للبوسنة في الثقافة الإسلامية، يبدو بوضوح أن الخانجي في مقدمته للكتاب يشير إلى من سبقوه في هذا المجال في البوسنة مثل الشيخ سيف الدين كمورا S.Kemura (١٨٦٣-١٩١٧) ود.صفوت بك باش أغيتش S.Basagic (١٨٧٠-١٩٣١). ويمثل الأول نتاج الثقافة التقليدية الشرقية حيث إنه ولد وتعلم في سراييفو ثم تولى التدريس في مدارسها الشرعية والتأليف المنهجي في هذا المجال (التعريف بعلماء البوسنة وإسهاماتهم)، حيث وضع مؤلفًا مرجعيًّا عن من تولى الإفتاء في سراييفو خلال ١٥١٩-١٩١٦ نشر له في ١٩١٦. أما الثاني والأهم هنا (د. باش أغيتش) فقد كان يمثل الثقافة الشرقية للبوسنة مع المنهجية الأوروبية الحديثة، حيث إنه كان أول بوسنوي مسلم ينتسب إلى جامعة فيينا ويدرس على كبار المستشرقين ليناقش في ١٩١٠ أطروحته للدكتوراه «البشانقة والهراسكة في الأدب الإسلامي» ثم يترجمها من الألمانية ويطبعها في سراييفو خلال ١٩١٢ [١]، حيث قرأها خانجيتش في فتوته وتأثر بها ليتابع هذا العمل في هذا المجال بعد سفره إلى القاهرة للدراسة في الأزهر.

وبالمقارنة مع الرائد الأول (د. باش أغيتش) في هذا المجال فقد كان من الواضح أن الرائد الثاني (الخانجي) قد استفاد كثيرًا خلال إقامته في القاهرة، ليطلع على أمهات المصادر في اللغة العربية التي اشتملت على أخبار وتراجم بعض علماء البوسنة الذين عاشوا لفترة قصيرة أو طويلة في البلاد العربية واشتهروا بعملهم في المناصب المختلفة وأعمالهم في اللغات الشرقية: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للمحبي و«سلك الدّرر في أعيان القرن الثاني عشر» للمرادي و «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي إلخ. ويشير الخانجي بنفسه إلى قائمة المصادر التي استفاد منها، حيث يبدو في ثنايا الكتاب أن معرفته باللغات الثلاث (العثمانية والعربية والفارسية) بالإضافة إلى لغته الأم قد ساعدته كثيرًا على أن يضيف أسماء جديدة إلى ما هو موجود في كتاب د. باش أغيتش.

(1) Safvet-beg Basagic, Bosnjaci i Hercegovci u islamskoj knjizevnosti, Sarajevo (Zemaljska stam-parija) 1912.

وبعد عودته إلى سراييفو وانغماسه في البحث والتأليف تابع خانجيتش ما بدأه في القاهرة لينشر على حلقات فصول الطبعة البوسنوية من كتابه «إسهام مسلمي البوسنة في مجال الأدب» في مجلة المشيخة الإسلامية خلال ١٩٣٣-١٩٣٤ ثم ليصدره ككتاب في ١٩٣٤ [١]. ويلاحظ هنا أن خانجيتش قد استعاض عن العنوان المسجع لكتابه في العربية (الجوهر الأسنى) بعنوان أدق يتحدث فيه عن إسهام مسلمي البوسنة في حقل الأدب الذي يقصد به كل ما كتب في مختلف المجالات وليس في المفهوم الضيق للأدب. وبالمقارنة مع الكتاب الأول (الجوهر الأسنى) الذي اكتفى فيه بتجميع المعطيات الأولية عن العلماء والشعراء وترتيبهم حسب التسلسل الأبجدي نجد أنه في الكتاب الجديد «إسهام مسلمي البوسنة» قد تعمق فيه أكثر وقام بتوزيع المادة العلمية على محاور رئيسة تبرز «الإسهام» بشكل واضح في كل محور من محاور الثقافة الإسلامية:

١ - الإسهام في علوم الدين باللغات الشرقية.

٢ - الإسهام في التاريخ.

٣ - الشعراء في اللغة التركية.

٤ - الشعراء في اللغة الفارسية .

٥ - الشعراء في اللغة العربية.

٦ - الإسهام في علوم اللغة العربية.

٧ - الإسهام في العلوم المختلفة (الجغرافية والرياضيات وعلم الحيوان... إلخ).

ولم يكتف خانجيتش بما أضافه إلى هذا الكتاب من أسماء وعناوين مؤلفات ومعلومات جديدة عما كان في «الجوهر الأسنى» ولكنه تابع البحث والنشر على شكل مقالات ودراسات معمقة عن شاعر بعينه أو عن موضوع بعينه. فقد نشر دراسة مطولة بعنوان «سراييفو في الشعر التركي» اشتملت على ما أبدعه الشعراء الأتراك والبشانقة

(1) Mehmed Handzic, Knjizevni rad bosansko-hercegovackih muslimana, Sarajevo (Drzavna seamparija) 1934.

في اللغة التركية[١]، ونشر دراسة مطولة عن المؤرخ إبراهيم بجوي[٢]، كما ونشر دراسة مطولة عن «معراجية» الشاعر ثابت علاء الدين البوسنوي[٣].

وللأسف فقد خطف الموت خانجيتش في ذروة عطائه العلمي قبل أن يكمل الأربعين من عمره تاركًا وراءه الكثير من المؤلفات المنشورة وغير المنشورة (المكتملة وغير المكتملة) التي نأمل أن ترى النور في المستقبل.

وفي السنة التي توفي فيها خانجيتش كانت «دولة كرواتيا المستقلة» تنهار وتبرز من جديد يوغسلافيا ولكن بنظام جمهوري فدرالي وتحت حكم الحزب الشيوعي اليوغسلافي برئاسة جوزف بروز تيتو (١٨٩٢-١٩٨٠)، الذي انفتح على الوطن العربي والعالم الإسلامي في إطار حركة عدم الانحياز الجديدة. ومع النظام الفدرالي الجديد أصبحت البوسنة إحدى جمهوريات يوغسلافيا الست، وبدأت عاصمتها سراييفو تحتضن المؤسسات الأكاديمية الجديدة. وفي هذا السياق افتتح في ١٩٥٠ «معهد الاستشراق» في سراييفو، الذي يعنى بالجانب البحثي، ثم افتتح في العام ذاته قسم الاستشراق في جامعة سراييفو (الثاني في يوغسلافيا بعد بلغراد) الذي تحول إلى حاضنة لتخريج الأجيال الجديدة من المستشرقين الذين تواصلوا بشكل أفضل مع الوطن العربي[٤].

وبالمقارنة مع الاستشراق الصربي الذي ارتبط بأول قسم للاستشراق في يوغسلافيا (تأسس في ١٩٢٦ في جامعة بلغراد) فقد تميز الاستشراق البوسنوي بمفهوم مغاير يعتبر أن التراث الشرقي الموجود في البوسنة إنما هو نتاج الذات وليس نتاج الآخر، ولذلك فقد أصبح على رأس أهداف معهد الاستشراق جمع هذا التراث وحفظه ودراسته ونشره[٥]. ومن هنا فقد برز في النصف الثاني للقرن العشرين جيل جديد من

---

(1) Handzic, Izabrana djela I, pp.452-528.

(2) Handzic, Izabrana djela I, pp.601- 630.

(3) Handzic, Izabrana djela I, pp.650 -725.

(٤) مع العلاقة الجديدة بين الرئيسين تيتو وجمال عبدالناصر افتتح في كلية الألسن بجامعة عين شمس قسم اللغة الصربوكرواتية وأدبها، وساهم اثنان من خريجي هذا القسم في دراسة التراث الشرقي للبوسنة : الأول د.كامل البوهي الذي ناقش في ١٩٦٣ أطروحته للدكتوراه «المؤلفات العربية للكتّاب اليوغسلاف» في جامعة بلغراد، والثاني د. حسين عبداللطيف الذي ناقش في ١٩٦٥ أطروحته للدكتوراه «محمد موسى علامك البوسنوي المتخصص في فقه اللغة العربية من النصف الأول للقرن السابع عشر» في جامعة سراييفو.

وللأسف فإن أيًا من هاتين الأطروحتين لم تنشر في يوغسلافيا السابقة ولم تترجم إلى العربية.

(١) للمزيد عن نشوء وتطور الاستشراق في البوسنة وتمايزه عن الاستشراق الصربي انظر كتابنا : مراجعة

الباحثين الذين تابعوا عمل خانجيتش مثل عمر موشيتش O.Music (١٩٠٣-١٩٧٢) وحازم شعبانوفيتش H.Sabanovic (١٩١٦-١٩٧١) وغيرهما. وقد تميز هنا الباحث حازم شعبانوفيتش الذي قضى عقود عدة في البحث في هذا المجال (إسهام البشانقة في اللغات الشرقية) ولم ينشر عمله الكبير «أدب مسلمي البوسنة والهرسك في اللغات الشرقية» إلا بعد وفاته في ١٩٧٣ (١).

ومع أن الكتاب نشر كما تركه الباحث، حيث لدينا معطيات كاملة عن ١٦٢ شخصية ومسودات أولية عن ٦٦ شخصية، إلا أن د. شعبانوفيتش قدم إسهامًا كبيرًا بتركيزه على جمع المعلومات من المصادر المختلفة والدراسات الحديثة في اللغات الأوروبية عن هذه الشخصيات ثم عن نسخ مؤلفاتها وأماكن وجودها في المكتبات المختلفة وما طبع منها... إلخ.

وإذا كان د. شعبانوفيتش يمثل الجيل الثالث بشكل ما فإن لدينا باحثين يمثلان الجيل الرابع (سليمان غروزدانوفيتش ١٩٣٣-١٩٩٦) والجيل الخامس (عامر ليوبوفيتش ١٩٤٥-)، اللذين تضافرت جهودهما لإنجاز آخر وأفضل عمل في هذا المجال ألا وهو «الأدب النثري للبوسنة والهرسك في اللغات الشرقية» الذي صدر عن معهد الاستشراق في سراييفو خلال ١٩٩٥ (٢).

وبالمقارنة مع العمل السابق للمرحوم د. شعبانوفيتش، الذي أخذ الطابع الببليوغرافي، فقد تميز الكتاب الجديد بدراسة مطولة عن التراث البوسنوي في اللغات الشرقية وقيمته وذلك من خلال دراسة الموضوعات، حيث شمل الجزء الأول الفلسفة والفقه وعلوم الدين بينما اشتمل الجزء الثاني على فقه اللغة والتاريخ والأدب الرفيع.

وفي غضون ذلك كان الباحثون من الجيلين الثالث والرابع، سواء من معهد الاستشراق وقسم الاستشراق أو من كلية الدراسات الإسلامية ومكتبة الغازي خسرو بك وغيرها، يتعمقون أكثر في دراسة المؤلفات التي وردت في كتاب «الجوهر الأسنى» للخانجي

الاستشراق - ثنائية الذات والآخر- نموذج يوغسلافيا، بيروت (دار المدار الإسلامي) ٢٠٠٢.

(2) Dr. Hazim Sabanovic, Knjizevnose Muslimana BiH na orijenealnim jezicima, Sarajevo (Svjeelose) 1073.

(3) Amir Ljubovic-Sulejman Grozdanic, Prozna knjizevnose Bosne i Hercegovine na orijenealnim jezicima, Sarajevo (Orijenealni inseieue) 1995.

وقد صدر عن هذا الكتاب عرض مبكر في اللغة العربية كتبه أحد أبرز المستشرقين البوسنويين: أسعد دوراكوفيتش، التراث البوسنوي باللغات الشرقية، مجلة «الندوة» عدد ٢، عمان ١٩٩٦، ص ٢٩-٣٢ وحظي مؤخرًا بترجمة كاملة: عامر ليوبوفيتش - سليمان غروزدانوفيتش، الأدب النثري للبوسنة باللغات الشرقية، ترجمة وتقديم جمال الدين سيد محمد، القاهرة (المركز القومي للترجمة) ٢٠٠٨.

ويقومون بتحقيقها ونشرها حسب الأصول العلمية لوضع هذا التراث بين أيدي الأجيال الشابة، وهي ما سنشير إليها في هوامش هذه الطبعة الجديدة لـ «الجوهر الأسنى».

وفي ما يتعلق بهذه الطبعة الجديدة فقد كان الهدف الرئيسي لها ربط هذا الإسهام الرائد للخانجي الأزهري بالعمل الأكبر لصاحبه البوسنوي (خانجيتش) والتعريف به بما يفتح الباب لنشر المزيد من أعماله المخطوطة أو المنشورة في اللغة البوسنوية والتي تستحق الترجمة إلى العربية، وربط كل ذلك بالإطار البوسنوي المعاصر الذي لا يزال يثمر المزيد من الأبحاث والإصدارات في هذا المجال (إسهام علماء وأدباء البوسنة في اللغات الشرقية).

ولا بد هنا من الإشارة إلى فضل المرحوم د. عبدالفتاح الحلو في الطبعة التي أصدرها من «الجوهر الأسنى» عام ١٩٩٢، وخاصة في حرصه على ترجمة الأشعار التركية والفارسية الواردة فيها إلى العربية، وهو ما حافظنا عليه تنويهًا بفضله. وأما في ما يتعلق بهذه الطبعة الجديدة فقد ركزنا على ربطها بالإطار البوسنوي المعاصر بذكر الصيغة المعاصرة لأسماء الأشخاص والأمكنة والتعريف بها وغيرها في الحد الأدنى، لكي لا نثقل الطبعة بالهوامش، والتنويه بما استجد من معطيات وإصدارات عن العلماء والشعراء الذين عرّف بهم الخانجي في الطبعة الأولى. وبالإضافة إلى ذلك فقد وضعنا بين قوسين ( ) التاريخ الميلادي المقابل للتاريخ الهجري الذي يستخدمه هنا الخانجي حتى تكون مقاربة للطبعة البوسنوية التي ظهرت ضمن الأعمال الكاملة لخانجيتش البوسنوي.

ولا بد في النهاية أن أشير إلى أن هذه الطبعة الجديدة من «الجوهر الأسنى» ستكون مفيدة أكثر إذا جمعت مع الإصدارات الأخرى التي تبنّت إصدارها مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بمناسبة انعقاد دورتها الثانية عشرة (دورة محمد علي دزدار وخليل مطران) في سراييفو خلال خريف ٢٠١٠، فلها كل الشكر والتقدير على ما تقدمه في خدمة الثقافة الإنسانية.

والله ولي التوفيق.

محمد م. الأرناؤوط

عمّان آذار ٢٠٠٩- آذار ٢٠١٠

****

الجوهر الأسنى

في

تراجم علماء وشعراء بوسنه

لافقير اليه تعالى محمد بن محمد بن محمد
ابن صالح بن محمد البوسنوى
المعروف بالخانجى
غفر الله
له

طبع على نفقة مكتبة المعاهد العلمية

الطبعة الاولى بالمطبعة العلامية

بمصر

١٣٤٩

الغلاف الأصلي للطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نشر أعلام الحنيفيَّة السمحة في مشارق الأرض ومغاربها، ووفّق من كلّ قوم من يحفظ قواعدها، ويشيد أركان بنائها، ويدفع الخصوم عن هدم أساسها، ويبذل النفس والنفيس في حمايتها وصيانتها، فأصبح الإسلام واسعًا نطاقه، ممتدًّا من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب رواقه. والصلاة والسلام على خير الخليقة، والإنسان الكامل على الحقيقة، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكلّ من سلك طريقه.

أما بعد، فإن علم التاريخ علم عظيم قدره، جليل نفعه، وهو مرآة الزمان، والحاكي ما كان في الماضي في مختلف البلدان، فلذلك تصدى علماء الإسلام لتدوينه، فكثّرت فيه تآليفهم، وخرجت عن دائرة العدِّ تصانيفهم، وقد نوّعوه أنواعًا وأقسامًا، فمن أجلّ أقسامه، معرفة تراجم العلماء والشعراء، وسائر الكبراء والفضلاء، وهم في كل بلاد الإسلام متفرقون، وكثير منهم في زوايا النسيان مهملون. فألفت هذه العجالة لتعريف الراغبين ببعض علماء بلاد بوسنة (Bosnia) وشعرائها، الذين لهم خدمة للدين، أو يدٌ في إحدى اللغات الشرقية الثلاث؛ العربية، والتركية، والفارسية، تخليدًا لآثارهم، وحفظًا عن النسيان لتراجمهم، وكل ذلك بحسب اطلاعي القاصر، وظني أن ما فاتني منهم أكثر مما وقفت عليه. ثم إني أذكر أمام المقصود مقدمة يقتضيها المقام، وأرتب ما تيسّر جمعه من التراجم على ترتيب حروف المعجم، فليُسم هذا المجموع، بـ «الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء بوسنة» والله أسأل الهداية والتوفيق، لسلوك أقوم طريق.

وأما المآخذ التي جُلّ استمدادي منها فهي:

- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لكاتب جلبي.**
- **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، للطاشكبري.**
- **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، لبالي زاده.**

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي.
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي.
- نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء، لكافي الأقحصاري.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، للجبرتي.
- أخبار الدول وآثار الأُوَل، للقرماني.
- الكامل، لابن الأثير.
- المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء.
- تاريخ الدولة العلية، لمحمد فريد بك.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي.
- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، للسويدي.
- كتاب الأنساب، للحافظ أبي سعد السمعاني.
- حدائق الشقائق، لمجدي، بالتركية.
- ذيل الشقائق، لابن نوعي، بالتركية.
- فذلكة، لكاتب جلبي، بالتركية.
- قاموس الأعلام، لشمس الدين سامي، بالتركية.
- أسامي، لمعلم ناجي، بالتركية.
- ممالك عثمانية نكئ تاريخ وجغرافيا لغاتي، لعلي جواد بالتركية.
- سياحتنامه أوليا جلبي، بالتركية.
- خرابات، لضيا باشا، بالتركية.
- عثمانلي مؤلفلري، لمحمد طاهر البروسوي، بالتركية.
- .. أشياء كثيرة من الكتب البوسنوية، ولا داعي إلى ذكرها، واستفدت كثيرًا أيضًا، وما ذكرته من «ذيل شيخي زاده» و«ذيل عشاقي زاده» و«تذكرة سالم» و«تذكرة فطين» و«تذكرة صفائي» و«تذكرة غالب دده» وغيرها من التذكرات، فهو منقول بالواسطة. وما لم أذكر من المآخذ سأنص عليه وهو كثير.

****

مقدمة المؤلف

الفصل الأول: في تاريخ انتشار الإسلام في أوروبا

إن الدين الإسلامي دين العز والسعادة، ودين الرقي والسيادة؛ ألم تر إلى العرب قبل الإسلام كانوا في جاهلية جهلاء، وظلمة دهماء، متباغضين بينهم، مشتتين في جزيرة العرب على قبائل لا يحصيها إلا خالقهم، يحاربون بعضهم بعضًا، ويعبدون الأصنام ولا يعرفون من الدين سنة ولا فرضًا، فجاء إليهم النبي ﷺ المبعوث إلى الناس كافة عربهم وعجمهم، أسودهم وأحمرهم، شرقيهم وغربيهم، بدين إلهي، وقانون سماوي، ضامن لمن تمسك به السيادة في الدنيا والسعادة في الأخرى، فلم تمض عشرون عامًا إلا والعرب قد صاروا إخوانًا متحدين بعد التفرق، متحابين بعد التباغض، علماء بعد الجهل، أشداء على الكفار بعدما كان بأسهم بينهم شديدًا، ملوكًا بعدما كانوا لغيرهم عبيدًا، وكل ذلك بسبب هذا الدين الحنيف، والقانون السماوي المنيف ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[1]. فلما انتقل النبي ﷺ من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وخلَفه خلفاؤه الراشدون، الهادون المهديون، وأصحابه المتَّبعون له بإحسان، فتحوا البلاد وكسروا كسرى، وقصروا قيصر، ونشروا الدين في أقطار الأرض، بالطول والعرض. ولم ينته عصر الصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، حتى وضع الإسلام قدمه في أوروبا، فحاصر معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما القسطنطينية، سنة أربع وثلاثين هجرية (٦٥٤م) لأول مرة، وحاصرها المسلمون أيضًا سنة ثمان وأربعين هجرية (٦٦٧م) في أيام معاوية رضي الله عنه، وكان في الجيش عبدالله بن عباس وابنُ عمر وابن الزبير وأبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وتوفي أبو أيوب في مدة

(١) القرآن الكريم، الأنفال ٦٣.

الحصار، وحاصرها المسلمون في غير المرتين المذكورتين، ولكن لم يتيسر فتحها إلى زمن السلطان المجاهد أبي الفتح محمد الثاني. ولم يمنع الإسلام عدم دخوله إلى أوروبا من الشرق، أن لا يدخلها من جانب الغرب، فسنة اثنتين وتسعين هجرية (٧١٠م) وهو عصر الصحابة أيضًا، غزا طارق بن زياد مولى موسى بن نصير الأندلس ففتحها، واستمرت في أيدي المسلمين ثمانمائة إلى تسعمائة سنة، فكان ما كان، ولله الأمر من قبل ومن بعد؛ وقد خرج منها ونبغ فيها من أهل العلم في كل فن ما لا يحصيه سوى الله أحد، ويكاد لا يحيط به عدد، وتاريخها أشهر من أن يذكر؛ أُلّفت فيه تواريخ ذوات مجلدات ضخام. وفي تلك السنة نفسها غزا المسلمون جزيرة سردانية(١)، وهي من أكبر الجزائر في بحر الروم ما عدا جزيرة صقلية وأقريطش(٢)، ولكن لم يقر للمسلمين فيها قرار، وإن كانوا غزوها بعد ذلك عدة مرات. ثم بعد انتهاء عصر الصحابة، سار الخلفاء والملوك سيرة من تقدمهم في فتح البلاد، ونشر الإسلام، ففتحت جزيرة صقلية بتمامها سنة ثلاث عشرة ومائتين هجرية (٨٢٨ م)، وعلى يد قاضي القيروان عالم زمانه وفقيه أوانه أسد بن الفرات، صاحب «المدونة الأسدية»، وكان رجلًا صالحًا فقيهًا عالمًا، أدرك مالك بن أنس، ورحل إليه، فبقيت صقلية بأيدي المسلمين مدة، واهتدى أهلها، فصاروا مسلمين، وبنوا بها الجوامع والمساجد، حتى أنه كان في مدينة واحدة من مدنها وهي بلرم نيف وثلاثمائة مسجد. قال ابن حوقل: «وقد رأيت في بعض الشوارع من بلرم على مقدار رمية سهم عشرة مساجد». ودام ملك المسلمين في صقلية إلى سنة أربع وستين وأربعمائة هجرية (١٠٧١م)، فانتقلت في تلك السنة إلى أيدي الكفار، وبقي فيها الإسلام بعد ذلك مدة مديدة. وقد ظهر من صقلية من أهل العلم عدد كثير، واشتهروا في كل فن، وتراجمهم موجودة في محلها من كتب التاريخ. وكان الإسلام انتقل من جزيرة صقلية، وجاوز البحر إلى أرض قلوريه من بلاد إيتاليا(٣)، واستولى المسلمون على عدة بلاد من

---

(١) المقصود جزيرة سردينية الإيطالية.

(٢) المقصود جزيرة كريت التي فتحها المسلمون سنة٢١٢هـ/٨٢٧ م و بقوا فيها حتى ٣٥٠هـ/٩٦١م، حيث لايزال هناك ما يذكّر بهم. للمزيد انظر: د. اسمت غنيم، الإمبراطورية البيزنظية و كريت الإسلامية: صفحات مشرقة ومشرفة في تاريخ المسلمين في العصور الوسطى، جدة (دار المجمع العلمي) ١٩٧٧م.

(٣) المقصود كالابريا Kalabria التي تقع في جنوب إيطاليا ولا يفصلها عن جزيرة صقلية سوى مضيق مسينا.

بلادها كريو[١] وباره[٢] وطارنت[٣]. وكانوا قرعوا أبواب رومية[٤] قاعدة ملك إيتاليا، ومقر رئيس النصرانية (بابا).

وبنى بمدينة ريو أبوالغنائم الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي مسجدًا كبيرًا في وسطها، وذلك سنة أربعين وثلاثمائة هجرية (٩٥١م). وكل هذه البلاد التي ذكرناها خلت بمرور الزمان من الإسلام والمسلمين، وعفت فيها آثارهم، واندرست معالمهم ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[٥]. مضت بعد ذلك أعوام إلى زمان السلطان أورخان الأول، فدخل المسلمون من الجانب الشرقي إلى أوروبا، وفتحوا سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، مدينة كليبولي، الكائنة على مجاز الدردنيل، فصار الإسلام من ذلك الزمن ينتشر في أوروبا، ودخل ملك المسلمين بالتدريج، على ما بسط في التواريخ، بلاد بلغاريا، ويونان، والصرب، والأرناؤد، وبوسنة، وهرسك (Herceg)، وفتحت القسطنطنية، فصارت جميع بلاد بالقان[٦] بلاد المسلمين.

ثم جاوز الإسلام نهر طونه[٧]، وفتحت بلاد المجر، ودخل الإسلام في قاعدة ملكهم بودين وبشته[٨]، واستمر الفتح إلى أن قرع المسلمون أبواب ويانه[٩] مرات.

ثم دارت الأيام، وانقلبت الأمور، حتى لم يبق من المسلمين في أوروبا باق إلا في بلاد بوسنة، وهرسك، وبلاد الأرناؤد، وبلاد ماقدونيا، وبلغاريا، ويونان، وتوركيا الأوروبية.

وقد وصف البلاد التي فتحها المسلمون في أوروبا بأتم وصف، الرحالة الشهير بأوليا جلبي؛ في «رحلته»، وهي رحلة باللغة التركية مهمة في عشرة مجلدات، لم يصنف في اللغة العربية ولا التركية ولا الفارسية مثلها، لا «رحلة ابن بطوطة»، ولا «رحلة ابن

---

(١) المقصود أوترانتو Otranto التي تقع على الساحل الإيطالي المطل على البحر الأيوني.

(٢) المقصود باري Bari التي تقع على الساحل الإيطالي المطل على البحر الأدرياتيكي.

(٣) المقصود تارنتو Tarento التي تقع على الساحل الإيطالي المطل على البحر الأيوني.

(٤) المقصود روما عاصمة إيطاليا ومقر الفاتيكان.

(٥) القرآن الكريم، آل عمران ١٤٠.

(٦) المقصود بلاد البلقان التي تشمل البلاد المذكورة.

(٧) المقصود نهر الدانوب (٢٨٥٧ كم) الذي ينبع من ألمانيا ويخترق النمسا وسلوفاكيا والمجر وكرواتيا وصربيا وبلغاريا ورومانيا ليصب في البحر الأسود.

(٨) المقصود بودا التي تقع على الضفة اليمنى لنهر الدانوب وبست التي تقع على الضفة اليسرى، اللتان اتحدتا بواسطة الجسر لتشكلا بودابست عاصمة المجر حاليًا.

(٩) المقصود فيينا عاصمة النمسا.

جبير» ولا غيرهما، والمطبوع منها ستة مجلدات، فذكر عند وصفه مدينة بودين أنه كان فيها ستة عشر مسجدًا، وسبع مدارس، وسبع تكايا للذكر. وذكر عند وصفه مدينة شيقلوش، أنه كان فيها سبعة مساجد وثلاث مدارس، وعشر تكايا للذكر. وذكر عند وصفه قلعة سكتوار[1]، أنه كان فيها عشرة مساجد. وهذه المدن من بلاد المجر، وقس عليها باقيها، وليس فيها الآن مسلم، ولا مسجد. وذكر عند وصف مدينة بلغراد، وهي من بلاد الصرب، أنه كان فيها مائتا مسجد وسبعة عشر مسجدًا، وثماني مدارس، وتسع دور حديث، وسبع عشرة تكايا للذكر، ومائتا مكتب لتعليم الصبيان، وسبعون مكتبًا. وليس فيها الآن من كل ما ذكره إلا مسجد واحد، يصلي فيه عدد قليل من التجار المسلمين أو مسافريهم[2]. وقس على هذه المدينة غيرها من المدن.

ورأيت بعيني رأسي في مدينة سلانيك مساجد تهدم، وأخرى يوضع عليها النواقيس والصلبان، فتصير بيوت كفر، وقد كانت بيوت إيمان، والله المستعان[3].

تبكي الحنيفيَّةُ البيضاءُ مِنْ أسفٍ
كما بكى لِفراقِ الإلْفِ هَيْمَانُ
حتى المحاريبُ تبكي وهْي جامدةٌ
حتى المنابرُ ترثى وهْي عِيْدانُ
على ديارٍ مِنَ الإسلامِ خاليةٍ
قد أقفَرَتْ ولها بالكفرِ عُمْرانُ
حيث المساجدُ قد أمسَتْ كنائِسَ ما
بِهِنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ
لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ مِنْ كَمدٍ
إنْ كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ[4]

---

(١) المقصود مدينة زيجت Szeget التي تقع الآن على الحدود المجرية مع صربيا.

(٢) للتوسع حول ذلك انظر كتابنا: تاريخ بلغراد الإسلامية، الكويت (دار العروبة) ١٩٨٧م.

(٣) للمزيد حول سلانيك وما حل بها انظر كتابنا: دراسات في التاريخ الحضاري للإسلام في البلقان، تونس – دبي (مؤسسة التميمي– مركز جمعة الماجد) ١٩٩٦م، ص٢٢ – ٣٠.

(٤) من قصيدة الشاعر الأندلسي المعروف أبوالبقاء الرندي في رثاء الأندلس، انظرها في «نفح الطيب» للمقري، ج٤، ص٤٨٧ – ٤٨٨.

ومن كل البلاد المذكورة خرج من أهل العلم أعداد كثيرة، وتراجمهم في كتب التاريخ موجودة.

ومن بقايا الإسلام في أوروبا نحو عشرة آلاف نفس في بلاد لهستان بولونيه، لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، وإن لم يكونوا هم من بقايا المسلمين الذين ذكرهم ياقوت الحموي، في «معجم البلدان»، عند ذكر باشغرد، فلا ندري من هم[1]. قال ياقوت، بعد ذكر أقوال السابقين عليه في تفسير لفظ باشغرد: «وأما أنا فإني وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة، يقال لهم الباشغردية، شقر الشعور والوجوه جدًا، يتفقهون على مذهب أبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فسألت رجلًا منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم فقال: أما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة أمةٍ من الفرنج، يقال لهم: الهنكر[2]. ونحن مسلمون رعية لملكهم في طرف من بلاده نحو ثلاثين قرية، كل واحدة تكاد أن تكون بليدة، إلا أن ملك الهنكر لا يمكننا أن نعمل على شيء منها سورًا خوفًا من أن نعصى عليه، ونحن في وسط بلاد النصرانية فشمالينا بلاد الصقالبة، وقبلينا بلاد البابا، وفي غربينا الأندلس، وفي شرقينا بلاد الروم قسطنطينية وأعمالها، قال: ولساننا لسان الإفرنج، وزينا زيهم، ونخدم معهم في الجندية، ونغزو معهم كل طائفة؛ لأنهم لا يقاتلون إلا مخالفي الإسلام.

فسألته عن سبب إسلامهم، مع كونهم في وسط بلاد الكفر، فقال: سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون إنه قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد بلغار، وسكنوا بيننا، وتلطفوا في تعريفنا، وما نحن عليه من الضلال، وأرشدونا إلى الصواب من دين الإسلام، فهدانا الله والحمد لله فأسلمنا جميعًا، وشرح الله صدورنا للإيمان، ونحن نقدم إلى هذه البلاد، ونتفقه، فإذا رجعنا إلى بلادنا أكرمنا أهلها، وولونا أمور دينهم. فسألته لم تحلقون لحاكم كما تفعل الإفرنج؟ فقال: يحلقها منا المتجندون، ويلبسون لبسة السلاح مثل الإفرنج، أما غيرهم فلا. قلت: فكم مسافة ما بيننا وبين

---

(١) بعد عودته إلى سراييفو اهتم الخانجي بهؤلاء المسلمين في بولونيا وكتب عنهم مقالة خاصة:
Mehmed Handzic, Izabrana djela II, pp. 113 - 119.

(٢) للمزيد حول هؤلاء والمجر انظر دراستنا:الأصول العربية لبعض الشعوب المسلمة في أوروبا (المجر)، مجلة «دراسات تاريخية» ٩٩ - ١٠٠، دمشق ٢٠٠٧م، ص١٩٥ - ٢١٦.

بلادكم؟ فقال: من هـهنا إلى القسطنطينية نحو شـهرين ونصف، ومن القسـطنطينية إلى بلادنا نحو ذلك. ا. هـ[1].

أخي المسلم، أسلافنا بنوا ونحن هدمنا، وسعوا ونحن كسلنا، واعتنوا بالدين ونحن أهملنا، نحن خلف سوء لخيار أسلافنا، ولو رجعنا إلى ما كانوا هم عليه لهبت رياحنا وسارت سفننا، ليس علينا إلا العمل والرجوع إلى ديننا، وإن ظننا الفلاح في غيره فقد استسمنّا ذا ورم، ونفخنا في غير ضرم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، في رواية ابن عمر، رضي الله عنهما:

«إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم». رواه أبوداود[2]، والإمام أحمد بنحوه[3]، ورجال رواية أحمد ثقات، وصحّحه ابن القطان، وفي سنده مقال، ليس هذا محل بسطه، والله أعلم، وهذا الاستطراد نفثة مصدور.

الفصل الثاني: في تخطيط بلاد بوسنة وهرسك

بوسنة: هي بلاد واسعة واقعة في الشمال الغربي من شبه جزيرة بالقان، سميت باسم نهر يجري فيها، ويحدها الآن من الجانب الشمالي نهر صاوه[4]، ومن الجانب الشرقي نهر درينا، ومن الجانب الغربي بلاد دالماسيه، ومن الجانب الجنوبي بلاد هرسك، وقد كانت حدودها في الزمن السابق في اصطلاح الترك أوسع مما ذكرنا. ويلحق ببلاد بوسنة بلاد هرسك، الواقعة في جهتها الجنوبية، ويحدها من الجانب الشرقي والجنوبي بلاد الجبل الأسود، ومن الجانب الغربي بلاد دالماسيه، فإذا أطلق اسم بوسنة، قد يشمل بلاد هرسك أيضًا، وأكثر بلادها جبلية، والسهول فيها قليلة، وأنهارها كثيرة جدًا، ينفجر في كل جهة من جهاتها عيون الماء العذب، وزرعها يسقى

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٦٩ - ٤٧٠.

(٢) سنن أبي داود، كتاب البيوع، ج٢، ص٢٤٦.

(٣) مسند الإمام أحمد، ج٢، ص٨٤.

(٤) المقصود نهر سافا Sava (٩٤٥ كم) الذي ينبع في أقصى شمال سلوفينيا ويخترق كرواتيا إلى صربيا حتى بلغراد حيث يصب في نهر الدانوب.

بالأمطار، وفيها فواكه كثيرة متنوعة لذيذة، وهواؤها حسن جدًّا للصحة صيفًا وشتاءً، ولكن إذا حضر الشتاء تتغطى الأرض بغطاء من الثلج الأبيض. وأما مجموع سكانها فهم نحو مليونين، الثلث منهم تقريبًا مسلمون.

وأشهر مدنها مدينة سراي، ويقال لها سرايه، ويسميها الأتراك ببوسنة سراي وسراي بوسنة[١]، وهي مدينة متوسطة، أسسها المسلمون في أول دخولهم في هذه البلاد على شاطئ نهر صغير يسمى ميلاجقا[٢]. قال القرماني: «وهي قاعدة بلاد بوسنة، ذات أنهار وأشجار، وأهلها أحسن الناس خَلْقًا وخُلقًا». ا.هـ. وعدد سكانها نحو سبعين ألفًا نصفهم تقريبًا مسلمون، لهم مساجد وجوامع كثيرة نحو مائة مسجد، وأكثرها مع المنارات البيض الحجرية، فإذا دخلها الغريب يرى في أول وهلة أمامه بلدة من بلاد الإسلام.

وحكى الرحالة أوليا جلبي، في «رحلته»، أنه كان فيها في زمنه في أواسط القرن الحادي عشر مائة وسبعون مسجدًا، سبعون منها جوامع يصلى فيها الجُمعات والعهدة عليه. وأكبر جوامعها جامع الغازي خسرو بك، وهو ابن بنت السلطان بايزيد خان، كان واليًا على بلاد بوسنة مدة طويلة، وأبوه فرهاد بك بوسنوي الأصل، واشتهر خسرو بك هذا بكثرة الحروب، فبنى جامعه من مال الغنيمة، وجعل له ولسائر أبنيته الخيرية أوقافًا كثيرة، يصدر منها خير كثير. وفي مدينة سراي مدارس كثيرة أهلية.

ومدارس للمسلمين خاصة، كمدرسة نواب قضاة الشرع، ومدرسة الغازي خسرو بك، ومدرسة شريعتسقا غيمنازيا[٣]، وغيرها من المدارس، وكالمدارس الابتدائية الكثيرة العدد، يتعلم فيها الأولاد الحروف العربية وقراءة القرآن ومسائل العقائد والصلاة والصيام، وغير ذلك. ومن مدنها الشهيرة مدينة موستار، وهي قاعدة بلاد هرسك، وأكثر

(١) للمزيد حول بوسنة سراي أو سراييفو انظر دراستنا: دور الوقف في نشوء المدن الجديدة في البوسنة - سراييفو نموذجًا، مجلة «أوقاف» عدد ١٣، الكويت ٢٠٠٧م، ص٤٧ - ٥٧.

(٢) المقصود نهر ملياتشكا Maljacka (٤٠ كم) الذي يخترق مدينة سراييفو ويشكل الفرع الأيمن لنهر البوسنة Bosna الذي أعطى اسمه للمنطقة.

(٣) المقصود المدرسة الثانوية الشرعية.

سكانها مسلمون، وفيها نحو ثلاثين مسجدًا، وهي واقعة على نهر كبير يسمى نرتوا[١]، وفي وسط البلد جسر كبير مرتفع، وبه تسمى البلد؛ لأن الجسر في لغتهم يقال له: موست، وفيها أيضًا مدارس. ومن مدنها الشهيرة أيضًا مدينة طوزله[٢]، وبانا لوقا[٣]، وبهكه[٤]، وتراونيك[٥]، وغيرها من المدن الكثيرة المذكورة في كتب الجغرافيا.

الفصل الثالث: في جنسية أهلها

أما جنسية أهلها فغالبهم بل كلهم من جنس السلاو. ويسميهم مؤرخو العرب بالصقالبة، جمع صقلب، بفتح فسكون وفتح اللام وآخره باء. قال أبومنصور الأزهري اللغوي: الصقالبة جيل حمر الألوان، صهب الشعور، يتاخمون بلاد الخزر وبعض جبال الروم. قال: وقيل للرجل الأحمر صقلاب بكسر الصاد، تشبيهًا. ا.هـ. ويزعم مؤرخو العرب، تبعًا لمؤرخي بني إسرائيل، أنهم من ولد يافث بن نوح. وذكر أبوالفوز محمد أمين السويدي، في «سبائك الذهب» أنهم ولد أشكنار بن توغرما بن كومر بن يافث. قال: وعند الإسرائيليين هم من ولد ماذاي بن يافث ا. هـ. وقال الحافظ أبوسعد السمعاني، في كتاب «الأنساب»: الصقلبي، بفتح الصاد المهملة والقاف الساكنة واللام المفتوحة وفي آخرها الباء الموحدة: هذه النسبة إلى الصقالبة، وهي منسوبة إلى صقلب بن لنطي بن يافث، ويقال: صقلب بن يافث. والمشهور بهذه النسبة جماعة كثيرة. ا.هـ[٦]. ونقل ياقوت الحموي، في «معجم البلدان» عن ابن الكلبي، أنه قال: من أبناء يافث بن نوح، عليه السلام، يونان، والصقلب، والعبدر، وبرجان، وجرزان، وفارس والروم في ما بين هؤلاء، والمغرب. قال ياقوت: وقال ابن الكلبي، في موضع آخر: أخبرني أبي، قال: رومي،

---

(١) المقصود نهر نرتفا Neretva (٢٢٥ كم) الذي ينبع في جنوب شرق البوسنة ويمتد معظمه عبر البوسنة باتجاه الشمال الغربي ليخترق كرواتيا ويصب في البحر الأدرياتيكي.

(٢) المقصود مدينة توزلا Tuzla التي تقع في شرق البوسنة.

(٣) المقصود مدينة بانيا لوكا، التي استولى عليها الصرب خلال حرب البوسنة ١٩٩٢ - ١٩٩٥م، وحولوها إلى عاصمة «جمهورية الصرب» بعد أن دمروا أهم المنشآت الإسلامية فيها (جامع الفرهادية إلخ).

(٤) المقصود مدينة بيهاتش Bihac التي تقع في أقصى شمال غرب البوسنة قرب الحدود مع كرواتيا.

(٥) المقصود مدينة ترافنيك Travnik التي تقع في وسط البوسنة (٩٠ كم إلى الغرب من سراييفو) والتي خلّدها الكاتب ايفو آندريتش في روايته «وقائع مدينة ترافنيك».

(٦) السمعاني، الأنساب، ج٨، تحقيق: محمد عوامة، (مطبعة هاشم الكتبي)، دمشق: ١٩٠٠، ص ٨٠.

وصقلب، وأرميني، وإفرنجي، إخوة، وهم بنو لنطي بن كسلوخيم بن يونان بن يافث، سكن كل واحد منهم بقعة من الأرض، فسميت به. ا.هـ[1]. ويكفي من هذه الأقوال سماعها، على أنه روي نحو من هذا في الحديث، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فروى أبوبكر البزار، في «مسنده»، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولد نوح؛ سام، وحام ويافث، فولد سام، العرب، وفارس، والروم، والخير فيهم، وولد يافث يأجوج ومأجوج، والترك، والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام القبط، والبربر، والسودان»[2]. ورواه الحافظ أبوسعد السمعاني، في مقدمة كتاب «الأنساب» له، وفي سنده محمد بن يزيد بن سنان بن يزيد التميمي الجزري، عن أبيه، وهما ضعيفان. كما بسط ذلك الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال» والحافظ ابن حجر، في «تهذيب التهذيب». وعدَّ الذهبي هذا الحديث من مناكير أبيه يزيد بن سنان، وهو مخالف لما رواه الترمذي، والإمام أحمد، والحاكم، في «المستدرك»، من حديث سمرة بن جندب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سامُ أبوالعرب، ويافث أبوالروم، وحام أبوالحبش». هذا لفظ الترمذي: حديث حسن. قلتُ: هو من حديث الحسن البصري، عن سمرة، والخلاف في سماعه عنه مشهور، وليس هذا محل بسطه. وقال الحافظ العراقي، في كتاب «القرب في محبة العرب»: حديث سمرة أولى بالصواب[3].

وأما مساكن الصقالبة الأصلية، فمؤرخو العرب يختلفون فيها اختلافًا كثيرًا، وذلك لقلة الأخبار الواردة إليهم عنهم واختلافها. ويستخرج من مجموع أقوالهم، أنهم كانوا يسكنون في آسيا غير بعيد من بحر الخزر، ثم لما هجمت عليهم القبائل المختلفة من الجهة الشرقية من بلادهم، تحركوا إلى الغرب، وفي النهاية استقر بعض قبائلهم في القرن السابع الميلادي في بلاد بوسنة وما حولها من البلاد، وهؤلاء هم المعروفون بصقالبة الجنوب، وتضم الآن شتاتهم دولة يوغسلافيا، ومعناه دولة صقالبة الجنوب.

---

(١) الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٦.

(٢) مجمع الزوائد، ج١، ص١٩٣.

(٣) سنن الترمذي ٣٢٣١ و٣٩٣١ ؛ مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ٩ - ١١ ؛ مستدرك الحاكم، ج ٢، ص ٥٤٦.

الفصل الرابع: في اعتناق أهالي بوسنة وهرسك الإسلام

كان سكان بوسنة وهرسك قبل فتح الأتراك لتلك البلاد نصارى، وكان لهم دولة وملوك، ومن زمان السلطان مراد الأول، بدأ الإسلام يدخل في تلك البلاد، وكان بين السلطان مراد وملك بلاد بوسنة عهد كان الثاني بموجبه يدفع الخراج إلى الأول، ومن ذلك الزمن صار الإسلام ينتشر في تلك البلاد، إلى أن تولى السلطنة الملك المجاهد أبوالمعالي السلطان محمد خان بن مراد المعروف بالفاتح، فنقض ملك بوسنة العهد، وامتنع عن دفع الخراج، فحاربه السلطان وأسره بعد محاربة شديدة، فقتله، فدانت له جميع البلاد، وصيرها دار الإسلام، وأسلم أغلب أهلها وبالخاصة الأشراف، وكان ذلك سنة سبع وستين وثمانمائة هجرية (١٤٦٢م). وتأخر فتح بلاد هرسك عن هذا التاريخ عشرين سنة إلى أن فتحت سنة سبع وثمانين وثمانمائة هجرية (١٤٨٢م). فهذا ابتداء إسلام تلك البلاد، واستمرت البلاد من ذلك الزمن منضمة إلى دولة تركيا إلى سنة خمس وتسعين ومائتين وألف هجرية (١٨٧٨م)، فاستولت عليها في تلك السنة دولة أووستريا[1]، بحسب المعاهدة في برلين، فلما قامت الحرب الكبرى الأخيرة، وتشتت شمل أووستريا قام صقالبة الجنوب، ومنهم مسلمو بوسنة وهرسك، فأسسوا دولة يوغسلافيا الموجودة الآن[2].

الفصل الخامس: في وصف مسلمي تلك البلاد، وذكر حالتهم الدينية والعلمية

فأول ما نذكره تمسّكهم بدينهم، وحبهم له، لا فرق في ذلك بين العالم والجاهل، والرجل والمرأة، وهذا شأن كل قطعة منقطعة عن أهلها، فلذلك نرى اليهود لتشتتهم وانقطاعهم، متمسكين بعاداتهم ولغتهم أشد تمسّك. والمسلمون في تلك البلاد ورثوا التمسك بالدين - هذه الخصلة المحمودة - من أسلافهم إلا أن الحرب العظمى الأخيرة تركت فيهم كما تركت في غيرهم أيضًا، بل في العالم كله، فسادًا كبيرًا وسوءًا كثيرًا، وذلك أنه نشأت منهم ناشئة جديدة، فيهم من الجهل بالدين والضعف العقلي ما فيهم،

---

(١) المقصود دولة النمسا.

(٢) تأسست «مملكة الصرب والكروات والسلوفين» في ١٩١٨/١٢/١م، واتخذت اسم «يوغسلافيا» خلال كتابة الخانجي لكتابه، وقد انفرطت مؤخرًا خلال ١٩٩١ - ١٩٩٢م، باستقلال سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة ومكدونيا عنها، بينما استقلت في ٢٠٠٦ الجبل الأسود وكوسوفا في ٢٠٠٨م.

فتجد كثيرًا منهم لا يرى الدين إلا عادات تقليدية ورثها الخلف من أسلافهم بدون تفكير وبحث وحرية في التعقل. وهذا الضعف أسبابه كثيرة؛ منها قلة أهل العلم الذين يفهمون الدين حق الفهم في تلك البلاد في هذا الزمن الأخير، وما كان فيها ممن ينتمي إلى العلم فكثير غلب عليهم الجهل والكسل، تداولوا كتبًا لا تسمن ولا تغني من جوع، فيها من الخرافات التي يتبرأ منها الدين وعلماؤه أكثر مما فيها من الحق، فظن هؤلاء الضعفاء أن تلك الخرافات في شيء فدافعوا عنها، وجاهدوا فيها، فضروا في ما أرادوا فيه النفع، فلما رأى ذلك من لم يشتم من علم الدين رائحة، ظن أنها الدين، فأعرض عنه، وكره كل ما ينتسب إليه، لظنه أن كله على وتيرة واحدة، وضرر هاتين الطائفتين قديم في الإسلام، في مختلف البلدان، وهاك فصلًا في ذلك، نقلناه من كتاب «الفصل بين الملل والنحل» للإمام أبي محمد ابن حزم الظاهري، قال: إنا لما تدبرنا أمر طائفتين ممن شاهدنا في زماننا هذا (توفي ابن حزم سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، ووجدناهما قد تفاقم الداء بهما؛ فأما إحداهما فقد جلت المصيبة فيها وبها، وهم قوم افتتحوا عنفوان فهمهم، وابتدأوا دخولهم إلى المعارف بطلب علم العدد وبرواته وطبائعه، ثم تدرجوا إلى تعديل الكواكب وهيئة الأفلاك وكيفية قطع الشمس والقمر والدراري الخمسة، وتقاطع فلكي النيرين والكلام في الأجرام العلوية، وفي الكواكب الثابتة، وانتقالها، وأبعاد كل ذلك وإعظامه، وفي ما دون ذلك من الطبيعيات وعوارض الجو، ومطالعة شيء من كتب الأوائل وحدودها التي نُصبت في الكلام، وما مازج بعض ما ذكرناه من آراء الفلاسفة في القضاء بالنجوم وأنها ناطقة مدبرة، وكذلك الفلك، فأشرفت هذه الطائفة من أكثر ما طالعت مما ذكرنا على أشياء صحاح، براهينها ضرورية لائحة، ولم يكن معها من قوة المنة وجودة القريحة وصفاء النظر، ما تعلم به أن من أصاب في عشرة آلاف مسألة مثلًا، فجائز أن يخطئ في مسألة واحدة، لعلها أسهل من المسائل التي أصاب فيها، فلم تفرق هذه الطائفة بين ما صح مما طالعوه بحجة برهانية، وبين ما في أثناء ذلك وتضاعيفه مما لم يأت عليه من ذكره من الأوائل إلا بإقناع أو بشغب، وربما بتقليد ليس معه شيء مما ذكرنا، فحملوا كل ما أشرفوا عليه محملًا واحدًا، وقبلوه قبولًا مستويًا، فسرى فيهم العجب، وتداخلهم

الزهو، وظنوا أنهم قد حصلوا على مباينة العالم في ذلك، وللشيطان موالج خفية، ومداخل لطيفة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنه يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1]. فتوصل إليهم من باب غامض، نعوذ بالله منه، وهو أنهم كما ذكرنا أصفار من كل شيء من علوم الديانة التي هي الغرض المقصود من كل ذي لب، والتي هي نتيجة العلوم التي طالعوا لو عقلوا سبلها ومقاصدها، فلم يعبأوا بآية من كتاب الله تعالى الذي هو جامع علوم الأولين والآخرين، والذي لم يفرط فيه من شيء، والذي من فهمه كفاه، ولا بسنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي بيان الحق ونور الألباب، ولم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدين إلا أقوامًا لا عناية عندهم بشيء مما قدمناه، وإنما عنيت من الشريعة بأحد ثلاثة أوجه؛ إما بألفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها، ولا يهتمون بفهمها، وإما بمسائل من الأحكام لا يشتغلون بدلائلها ومنبعثها، وإنما حسبهم منها ما أقاموا به جاههم وحالهم، وإما بخرافات منقولة عن كل ضعيف وكذاب وساقط، لم يهتبلوا قط بمعرفة صحيح منها من سقيم، ولا مرسل من مسند، ولا ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، مما نقل عن كعب الأحبار أو وهب بن منبه، عن أهل الكتاب، فنظرت الطائفة الأولى من هذه الآخرة بعين الاستهجان والاحتقار والاستجهال، فتمكن الشيطان منهم، وحل فيهم حيث أحب، فهلكوا وضلوا، واعتقدوا أن دين الله تعالى لا يصح منه شيء، ولا يقوم عليه دليل، فاعتقد أكثرهم الإلحاد والتعطيل، وسلك بعضهم طريق الاستخفاف والإهمال، واطِّراح ثقل الشرائع واستعمال الفرائض والعبادات، وآثروا الراحات وركوب اللذات من أنواع الفواحش المحرمات؛ من الخمور والزنى واللواطة والبغاء، وترك الصلوات والصيام والزكاة والحج والغسل، وقصدوا كسب المال كيف تيسر، وظلم العباد، واستعمال الأهزال، وترك الجد والتحقيق، وتدين الأقل منهم بتعظيم الكواكب، فأسفت نفس المسلم الناصح لهذه الملَّة وأهلها على هلاك هؤلاء المساكين، وخروجهم عن جملة المؤمنين بعد إذ غذوا بلبان الإسلام ونشأوا في حجور أهله، نسأل الله العصمة من الضلال لنا ولأبنائنا ولكل إخواننا من المسلمين، ونسأله تدارك من زلت قدمه، وهوت نقله، إنه على كل شيء قدير.

---

(١) صحيح البخاري، ج٣، ص٦٤.

أما الطائفة الثانية فهم قوم ابتدأوا الطلب لحديث النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يزيدوا على طلب علو الإسناد وجمع الغرائب، دون أن يهتموا بشيء مما كتبوا أو يعملوا به، وإنما تحملوه حملًا، لا يزيدون على قراءته دون تدبر معانيه، ودون أن يعلموا أنهم المخاطبون به، وأنه يأت هملًا، ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عبثًا، بل أمرنا بالتفقه فيه، والعمل به، بل أكثر هذه الطائفة لا يعمل عندهم إلا ما جاء من طريق مقاتل بن سليمان، والضحاك بن مزاحم، و«تفسير الكلبي»، وتلك الطبقة، وكتب البذيء التي إنما هي خرافات موضوعات، وأكذوبات مفتعلات، ولّدها الزنادقة تدليسًا على الإسلام وأهله، فأطلقت هذه الطائفة كل اختلاط لا يصح من أن الأرض على حوت، والحوت على قرن ثور، والثور على الصخرة، والصخرة على عاتق ملك، والملك على الظلمة، والظلمة على ما لا يعلمه إلا الله، عز وجل. وهذا يوجب أن جرم العالم غير متناه، وهذا هو الكفر بعينه فنافرت هذه الطبقة التي ذكرنا كل برهان، ولم يكن عندها أكثر من قولهم: نهينا عن الجدال. فليت شعري مَنْ نهاهم عنه؟ والله عز وجل يقول في كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[1]، وأخبر تعالى عن قوم نوح أنهم ﴿**قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**﴾[2]، وقد نصّ تعالى في غير موضوع من كتابه على أصول البراهين، وقد نبّهنا عليها في غير ما موضع من كتابنا هذا، وحضّ تعالى على التّفكر في خلق السماوات والأرض، ولا يصح الاعتبار في خلقهما إلا بمعرفة هيئاتهما، وانتقال الكواكب في أفلاكهما، واختلاف حركاتها في التغريب والتشريق، وأفلاك تداويرها، وتعارض تلك الأدوار على رتبة واحدة، وكذلك معرفة الدوائر والمنطقة والميل والاستواء، وكذلك معرفة الطبائع وامتزاج العناصر الأربعة وعوارضها، وتركيب أعضاء الحيوان من عصبه وعضله وعظامه وعروقه وشرايينه، واتصال اعضائه بعضها ببعض، وقواه المركبة، فمن أشرف على ذلك وعلمه رأى عظيم القدرة، وتيقن أن كل ذلك صنعة ظاهرة وإرادة خالق مختار؛ لأن اختلاف تلك الحركات يضطر إلى المعرفة بأن شيئًا منها لا يقوم بنفسه دون ممسك مدبر، لا إله إلا هو ولا خالق سواه، ولا مدبر حاشاه، ولا فاعل مخترع إلا هو.

---

(١) القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ١٢٥.

(٢) القرآن الكريم، سورة هود، الآية ٣١.

ثم زاد قوم منهم، فأتوا بالأفيكة التي تقشعر منها الذوائب، وهي أن أطلقوا أن الدين لا يؤخذ بحجة، فأقروا عيون الملحدين، وشهدوا أن الدين لا يثبت إلا بالدعـــاوى والغلبة، وهذا خـــلاف قولـه، عز وجل: ﴿**قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿**فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**﴾(٢).

هذا قول الله عز وجل، وجاء به نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك الكفاية والغناء عن قول كل قائل بعده، وقد حاج ابن عباس الخوارج، وما علمنا أحدًا من الصحابة رضي الله عنه نهى عن الاحتجاج، فلا معنى لرأي من جاء بعدهم، فكان كلام هذه الطائفة مغريًا للطائفة الأولى بكفرها، ومُغبطًا لهم لشركهم، إذ لم يروا في خصومهم في الأغلب إلا من هذه صفته ا. هـ. كلام ابن حزم، رحمه الله تعالى.

فينبغي لكل عالم أن يبيّن أن الدين موافق للعقل الصريح، وأنه لا شيء مما اتفق أهل العلم عليه إلا والدين مقرّر له ومؤيد، وما كان مخالفًا للعقل الصريح فيستحيل أن يكون موجودًا في الدين والنقل الصحيح، ولا بد من الاطلاع على ما صح من الدين في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن لم يطلع على ذلك فليسعه السكوت عن نفس الشيء وإثباته، ويلزم أن يعرف أن العقل ليس توهمات فاسدة، وخيالات كاسدة، ظنها بعض الأغبياء عقلًا تقليدًا منه، وتلقاها ممن افتراها من أهل الكفر فقدسها، بل كل ما خالف من تلك الأوهام الفاسدة والظنون التافهة شيئًا مما علم أهل العلم ثبوته من الدين، فهو مردود على قائله، مرمي في وجه ناقله، والله يوفق من يبين الحق للناس بيانًا شافيًا، يشفي به ما في صدور أهل الجهل بالدين من العلل والأمراض؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومن الأسباب لما ذكرنا كثرة المدرسين من الكفار في المدارس العمومية، والمعلم له تأثير كبير في الاعتقاد وإمالة أفكار تلاميذه إلى ما ينطوي عليه قلبه، فكثير من هؤلاء المدرسين يكررون على مسامع الطلبة من المسلمين أشياء في نفسها باطلة متناقضة، لم يقم عليها برهان، فيقبلها الطالب لضعف عقله ووهن فكره. ومن سنن الله في هذا العالم

---

(١) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١١١.

(٢) القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية ٣٣.

أن الصغير يتوجه إلى أي جهة شاء معلمه إلا قليلًا ممن عصمه الله تعالى من الباطل والزيغ إليه، وقطرات الماء اللطيف لها في جلمود الصخر تأثير. فالواجب على أهل العلم رد كل ما عساه يرسخ في معتقد الطالب من الأباطيل بالحجج القاطعة، والبراهين البينة، وقلع عروق تلك الشبهات من صدور من وقع في الشرك، ومنع إلقاء ما فيه مخالفة للدين على مسامع الطلبة، وهو بقانون تلك البلاد ممنوع.

ومن خصال مسلمي تلك البلاد حبهم لسائر المسلمين حبًّا بالغًا، واعتقادهم أن كل مسلم وإن نأت به البلاد أخ لهم، وهذا هو قانون الإسلام، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[1]. وقال صلى الله عليه وسلم في ما صح عنه: «المسلم أخو المسلم»[2]. ولكل جمعية أين كانت ومتى كانت رابطة، ورابطة المسلمين هي الرابطة الإسلامية وحدها، لا يعرف الإسلام قومية ولا عصبية جاهلية، وكل جمعية إذا ضاعت روابطها فالهلاك مصيرها، والمسلم إن لم يستمر على الإسلام فوجوده وعدمه سواء، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعوة إلى العصبية، ففي الحديث الصحيح، الذي أخرجه أبوداود، في «السنن» عن جبير بن مطعم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[3]. فالواجب السعي على إحياء الرابطة الإسلامية بين المسلمين، وإماتة كل ما خالفها، ورفع راية «المسلم أخو المسلم». ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[4] ومن خصالهم سلامة عقائدهم من الخرافات والأمور الجاهلية، وقد رأينا كثيرًا من المسلمين في البلاد الإسلامية المحضة غلبت عليهم الخرافات، ويظنون من خالفها أنه ملحد وزنديق. ومن خصالهم احتفاظهم على عادات المسلمين في الزي وغيره، وإقامة الفرق بينهم وبين الكفار، فلذلك تجد أكثرهم يلبسون العمائم، ومن لم يكن متعممًا

(١) القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢) سنن أبي داود، ج٢، ص٢٠٠.

(٣) سنن أبي داود، ج٢، ص٦٢٥.

(٤) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية ٢٤.

فيلبس الطربوش، ونساؤهم محتجبات محتشمات، لا يرى منهن في الشوارع شيء؛ لا الوجه ولا اليدان، ولا غير ذلك، إلا التي اتبعت الشيطان، وانجرت وراء المفسدين. وقد مُني قوم من مبتغي الفساد، ومقلدي أعداء الدين، بالسعي على هدم هذه العادات الإسلامية، وأعانهم بعض الجهال المنتسبين إلى العلم، ولكن الله تعالى رد كيدهم في نحورهم وهو القوي العزيز.

وأما لغة المسلمين في تلك البلاد، فهم يتكلمون باللغة الإسلاوية[1] كجيرانهم من أبناء جنسهم الصرب والخُروات وغيرهم[2]، ولغتهم غير بعيدة من اللغة الروسية، لأن أصلهما واحد وهي اللغة الإسلاوية القديمة. وللمسلمين ألفاظ كثيرة تركية وعربية دخلت إليهم بدخول الإسلام[3].

وأما كتابتهم فلهم كما لغيرهم من أبناء جنسهم كتابتان: كتابة بالحروف اللاتينية، وكتابة مأخوذة من الحروف اليونانية القديمة وللمسلمين خاصة كتابة بالحروف العربية، اصطلحوا فيها على اصطلاحات توافق لغتهم، وهذه الكتابة قديمة بينهم، وضعها قدماء علمائهم، ولكن لم تكن منتشرة كما انتشرت في الأزمنة الأخيرة ولها فوائد جمة، منها أن الولد يتقن الكتابة العربية وحروفها، فيسهل عليه بعد ذلك تعلم قراءة القرآن ولغته، فينبغي الاحتفاظ بها، ونشر كتب الفقه والعقائد وغير ذلك بها، وقد جرى على ذلك مسلمو تلك البلاد، فطبعوا في مطبعة المسلمين الخاصة بهم كتبًا كثيرة متعلقة بمسائل الدين[4].

وأما مذهبهم فكلهم على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه في الفروع، لا يوجد فيهم من انتسب إلى مذهب غيره، وأما مذهبهم في الأصول فمذهب أبي منصور الماتريدي، رحمه الله تعالى.

---

(١) المقصود اللغة السلافية.

(٢) المقصود الكروات، وقد استقلت هذه اللغات بالاسم بعد انهيار يوغسلافيا في ١٩٩١ - ١٩٩٢م فأصبحت تسمى «اللغة الصربية» في صربيا و«اللغة الكرواتية» في كرواتيا و«اللغة البوسنوية» في البوسنة.

(٣) لدينا قاموس بالمفردات العربية والتركية في اللغة البوسنوية وضعه الباحث عبدالله تشكاليتش وصدر في أكثر من طبعة:

Abdula Ckalic, Turcizmi u srpskohrvatskom/hrvatskosrpskom jeziku, Sarajevo (Svjetlost) 1973.

(٤) للمزيد عن ذلك انظر مقالتنا: الكتابة باللغة العربية لدى غير العرب، مجلة «العربي»، عدد ٢٩٩، الكويت، ١٩٨٣م، ص ٤٨ - ٥٣.

وللمسلمين في تلك البلاد السعي لحفظ القرآن، فتجد كثيرًا من أولادهم الصغار على بعدهم من اللغة العربية وصعوبة منالها عليهم، وعدم اعتيادهم على مخارج حروفها حافظين للقرآن العظيم، أعلى الله شأنه.

وأما طريقة تعلمهم العلوم الدينية، فالولد الصغير لا بد وأن يدخل في مدارس ابتدائية تسمى عندهم بالمكاتب، يتعلم فيها الخط العربي، وقراءة القرآن، وما يلزمه من العبادات وأمور العقائد، ويمكث الولد في هذه المدارس سنتين أو ثلاثًا، وهذه المدارس ينفق عليها من أوقاف المسلمين. ثم يدخل في المدارس الأولية يتعلم فيها كتابة تلك البلاد ومبادئ العلوم اللازمة، وهذه المدارس عامة للمسلمين وغيرهم والحكومة هي التي تنفق عليها، فإذا مكث الطالب فيها أربع سنين يدخل في المدارس الثانوية، ومدة التعلم فيها ثمان سنين، وبعضها خاصة بالمسلمين، يتعلمون اللغة العربية والأمور الدينية، كالمدرسة المسماة بـ «شر يعتسقا غيمنازيا»، ويدرس فيها اللغة العربية، نحوها وصرفها، وعلوم بلاغتها، وتاريخ آدابها، ويطالع أشعارًا منتخبة من شعراء الجاهلية والإسلام. ويدرس فيها من العلوم الدينية الفقه والعقائد وتاريخ الفرق الإسلامية والأخلاق وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاريخ الإسلام، وأكثر الكتب التي يدرس منها مترجمة بلغتهم. وللمسلمين أيضًا مدارس على الطرز القديم، يتعلم فيها العلوم الدينية والعربية، وقد قلّت هذه المدارس في الأزمنة الأخيرة. ولهم مدرسة قضاة الشرع، ينتسب إليها الطالب إذا أتم أربع سنين في المدارس الثانوية، أو المدارس القديمة، فيتعلم فيها سوى العلوم الدنيوية الفقه بالخاصة ما يتعلق بالمناكحات والفرائض، ويتعلم منها شيئًا من التفسير والحديث، ويستمر فيها خمس سنين، فإذا أتمها، يدخل في إحدى المحاكم الشرعية فيتمرن سنتين أو أكثر، ثم يتقلد وظيفة القضاء الشرعي والحكومة هي التي تنفق على هذه المدرسة، وللطالب المسكن والأكل واللباس والكتب وكل اللوازم مجانًا.

ولم يكن في الزمن السابق إلا المدارس على الطرز القديم، فكان من أراد التوسع في العلم يرحل إلى الخارج، بعد ما يتعلم مبادئ العلوم في بلاده، وكان أكثر الطلبة بل كلهم يذهبون إلى مدارس استانبول، فيأخذون من علمائها، كما ستراه في التراجم

الآتية، إن شاء الله تعالى. وأما الآن بعدما سُدّت عليهم تلك الطريق، بدأوا يفدون إلى الأزهر الشريف أصلح الله شأنه، لاقتباس العلم من علمائه، إلا أن الحالة في الأزهر ليست كما كان يرجى، لأمور؛ منها، إهمال الغرباء إهمالًا، يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله، ومثل هذا المعهد ينبغي أن يلتفت فيه إلى الغرباء أكثر من غيرهم؛ لأن الغرض منه نشر الإسلام وعلومه في أقطار الأرض شرقًا ومغربًا، وأما إن كانت فائدته قاصرة على أهل مصر فقط، فأهميته مساوية إذًا لغيره من المدارس الأميرية في مصر، ولا نعلم مدرسة من المدارس العالية في الدنيا كلها إلا ويلتفت فيها إلى الغرباء التفاتًا إن لم يكن أكثر من الالتفات إلى غيرهم فهو مساوٍ لهم. ومنها، أن الغرباء الوافدين إليه ليسوا كلهم على وتيرة واحدة، بل بعضهم صرفوا شطرًا كبيرًا من أعمارهم الثمينة في طلب العلم في بلادهم، وبعضهم جاهلون، وبعضهم حاملون للشهادات المعترف بها في كل المدارس العالية في الدول المتمدنة، فيسوى بين هؤلاء كلهم في الأزهر، فمن أراد أن ينتسب إلى أقسام النظام فيه فلا بد أن يدخل في القسم الأولي، أو يمتحن فيه حتى ينال الشهادة الأولية، وإن كان معه الشهادة الثانوية من غير مصر، وإن كان صرف عمرًا في طلب العلم، وإلا فلا يسعه إلا الالتحاق بقسم الغرباء المهملين، ومثل هذه الأمور تميت الهمم وتضيع العمر الثمين وتسبب ضياع نفوس، لو التفت إليها، لكان يرجى منها نفع كبير للعالم الإسلامي، أكبر من منفعة إمام في بعض المساجد المهملة من مساجد القاهرة. ومنها، أن أكثر الغرباء يقطعون البحار والقفار، ويكابدون المشاق، ويقاسون الشدائد، ويصبرون على شظف عيش الغربة، كل ذلك لأجل تعلم الدين، والاطلاع عليه، لعل الله ينفعهم وينفع بهم غيرهم، فإذا وردوا إلى الأزهر يتحير عالمهم، ويبقى في الجهل جاهلهم، لأن أكثر الدروس تستغرقها أبحاث لا طائل تحتها، لا تنفع في الدنيا ولا في الأخرى، ويهمل فيها ما له منافع جليلة، وفوائد ثمينة، وهذا مما يستنكف عنه العاقل؛ أضرب لك مثلًا، لفظ كتاب الصلاة، يأتي الطالب إلى الدرس ليتعلم فقه دينه، وأول كتاب فيه كتاب الصلاة، فماذا يسمع؟ يسمع الأبحاث هل في هذا ترجمة أو لا؟ وهل التراجم من أعلام الأشخاص أو أعلام الأجناس، أو أسماء الأجناس؟ وما وجه كلٍّ؟ وما إعراب هذه اللفظة؟

فيذكر في ذلك إما سبعة وجوه أو تسعة وجوه في إعرابها، حتى أنا سمعنا من بعضهم أن في البحث عن إعرابها نيفًا وأربعين وجهًا. ثم يبحثون في لفظ الكتاب، هل هو مصدر أو لا؟ حقيقة أو مجاز؟ وهذا البحث في الصلاة ولام التعريف، والإضافة، وغير ذلك؛ وربما استغرق البحث في ذلك أسابيع، فإذا كان الأمر على هذا فمتى يعرف الطالب أمور الصلاة وأدلة أحكامها من كتاب وسنة حتى يصح أن يقال له: عالم. ولو اتسع العمر لذلك أيضًا فمن يعلّمه وممن يتعلمه؟ لسنا بصدد الانتقاد، وإنما الغرض التنبيه، لعل أصحاب الأمر وأرباب العقول وأولي الألباب يلتفتون إلى الغرباء، ويصرفون من الاعتناء بهم ما يصرفه غير المسلمين بالوافدين عليهم. وأهل بلاد بوسنة وهرسك وما حولهما من البلاد مستحقون لمزيد الالتفات والاعتناء، فإنهم آخر نقطة من المسلمين في داخل أوروبا، وأهل العلم فيهم قليلو العدد، وهم محتاجون إلى علماء الدين أشد الاحتياج، ولو خلت تلك البلاد من العلماء لكان يخاف عليهم ما لا يستطيع اللسان النطق به، والله يوفق لما فيه خيرنا في الدنيا والآخرة.

وللمسلمين في بلاد بوسنة وهرسك محاكم شرعية في كثير من المدن، والقضاة في تلك المحاكم يحكمون بين المسلمين في مسائل النكاح والطلاق والميراث، على أن الطلاق عندهم نادر الوقوع، كما أن من النادر أيضًا أن يتزوج أحدهم بأكثر من زوجة واحدة. ولهم أربعة مفتين في أربع من المدن، وكان عددهم قبل ذلك ستة، ويرجع إليهم في أمور الفتوى. وفي عاصمة بوسنة، وهي مدينة سراي، مجلس من أربعة علماء، يسمى بالرئاسة العلمية، وعليهم شخص يسمى برئيس العلماء، وكانت رئاسته قبل الآن مخصوصة بمسلمي بوسنة وهرسك فقط. وكان ساكنًا في مدينة سراي، وأما الآن فهو رئيس جميع علماء مسلمي يوغسلافيا، ومقره في عاصمة الدولة بلغراد، ورئيس العلماء الحالي هو فضيلة الشيخ العالم الكبير إبراهيم أفندي ما غلا يليج، وفقه الله تعالى لما فيه خير المسلمين[1].

---

(١) كان هذا في وقته، أما رئيس العلماء الآن فهو الدكتور مصطفى تسرتيش M.Ceric. للمزيد عن هذه المؤسسة الرائدة انظر دراستنا: منصب «شيخ الإسلام» و«رئيس العلماء» في بلاد البوسنة، مجلة مجمع اللغة العربية، مجلد ٧١ عدد ٢، دمشق، ١٩٩٦م، ص٢٨٥ – ٣٠٨.

وللمسلمين خاصة ثلاث مجلات وجريدة إخبارية، منها مجلة تسمى بالحكمة تدافع عن الإسلام وتجاهد فيه، وأما المجلتان الباقيتان فلا يرضى المسلمون طريقتهما، لإعراضهما عن المدافعة عن الإسلام، بل ربما كانتا وبالًا عليه، والله المستعان. ووالله إني لأكتب، وأستحي أن أكتب، أن جماعة من المسلمين يبلغ عددهم أكثر من نصف مليون، ليس لهم في الحقيقة إلا مجلة واحدة إسلامية. وهذا شأن المسلمين في أكثر أقطار الأرض، هذا الأزهر لم تكن له إلى الأمس مجلة تنشر أخباره، وتبلغ إلى المسلمين دعوته، حتى خرجت مجلته «نور الإسلام» في أول هذه السنة ١٣٤٩هـ، وهذه القاهرة على كثرة مجلاتها وجرائدها لا تزيد مجلاتها الإسلامية على أصابع يد واحدة. هذه حقيقة مرة، ولكن لا فرار منها.

وللمسلمين في بلاد بوسنة جمعيات كثيرة، بعضها لإعانة الطلبة في داخل البلاد وخارجها، ومن جمعياتهم النافعة جمعية تسمى بالحرية، تعتني بتعليم أولاد الفقراء واليتامى أنواع الصنائع، ومنها جمعية باسم المرحمة، تسعى لإعانة الفقراء العاجزين، وتجمع الزكاة من أرباب الأموال، وتدفعها إلى المستحقين، وهي جمعية يشكر سعيها، نرجو الله تعالى أن يكثر من أمثالها.

فهذا شيء قليل من أوصاف حالة المسلمين في تلك البلاد، أوردناها بالاختصار، والغرض منه تعريف المسلمين في أنحاء العالم أن في تلك البلاد، أيضًا، جماعة من إخوانهم، يسرون بسرورهم، ويسوؤهم ما يسوؤهم، ولا بد من التعارف بين المسلمين، وأن يعرف من في أقصى الشرق منهم إخوانهم في أقصى الغرب، وأن يعرف من في أقصى الغرب إخوانهم في الشرق، وقد وجدنا المسلمين في مصر لا يدرون شيئًا من أحوال المسلمين في تلك البلاد، كأن الله تعالى لم يخلقهم، ولم نجد هذا مختصًّا بالطبقة الجاهلة، بل أكثر الطبقة المتعلمة ليس عندهم شيء من المعلومات عن إخوانهم في تلك البلاد، ولعل غير أهل مصر في هذا مثلهم أو دونهم، وهذا تقصير لا بد من استدراكه. فالله يوفق المسلمين إلى التعارف بينهم، وأن يكونوا كجسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الأعضاء بالحمى والسهر، أو كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

تنبيهات

الأول: لم نذكر في هذه العجالة سوى العلماء والشعراء، وأما غيرهم ممن اشتهر في الوظائف السياسية وغيرها فتركناهم الآن على كثرتهم.

الثاني: الترك والعجم لا يعتنون بالأنساب اعتناء العرب، فلذلك تجد بين من ذكرنا في هذا الكتاب من لا نعرف إلا اسمه، ومنهم من لا نعرف إلا مخلصه.

الثالث: عادة علماء الروم والفرس وخصوصًا شعراءهم أنهم يختارون لأنفسهم ألقابًا؛ كـ «ميلي» و«حلمي» و«عزيزي» و«نركسي» وغير ذلك مما ستراه، ويسمون هذا اللقب بالمَخْلص، ويستعملونه بدون حرف التعريف، وعلى ذلك جرينا نحن أيضًا.

وهذا أوان الشروع في المقصود، والله يوفقنا للسداد في القول والعمل، إنه قريب مجيب.

****

حرف الهمزة

(١)

أبوبكر، المتخلص بذِكْرِي

أصله من بلدة أوزيجه[١]. وهذه البلدة كانت معدودة من بلاد بوسنة عند الأتراك، وهي الآن من بلاد الصرب لا يسكنها المسلمون، وقد كانت مسكونة بهم في السابق. حدثني أبي، عن امرأة من أقربائه، وكانت ساكنة في تلك البلدة، قالت: خرجنا من بلدة أوزيجه عند استيلاء الكفار عليها، وتركنا كل ما لنا من الأموال، وكان الكفار رفعوا السيوف على بابها، فخرجنا من تحت السيوف، لا نحمل إلا نفوسنا.

وأما المترجم، فكان شاعرًا مجيدًا باللغة التركية، واشتهر بشجاعته في الحروب، وقتل في الحرب شهيدًا، سنة ألف ومائة (١٦٨٨م).

ومن شعره المشهور هذه الأبيات:

بنم نوش ايتديكم زاهدمى كلكون ايمش صانمه

بوبر خونا به حسرتله مملو جام فرقتدر

همان مجنونه همبا اولديغم شمدي قياس ايتمك

دل زارم ايدن شيدادخى بيغام وصلتدر

بوكلشنده سنى بلبل كبى زارايلين ذكرى

ديار غربت ودر دوغم وآلام محنتدر[٢]

---

(١) المقصود مدينة اوجيتشه Uzice وهي تقع الآن في غرب صربيا قرب الحدود مع البوسنة.

(٢) ترجمتها إلى العربية: يا صديقي لا تحسبنَّ ما أشربُه ماءَ الورد/ إنه كأس الفراق المُفْعم بالشوق والممزوج بالدماء/ أصبحتُ الآن صنوًا لمجنون ليلى/ ولا يسعد قلبي الحزين إلا رسالة الوصل/ إن الذكرى تجعلك تطوف حزينًا في الرياض مثل البلبل/ إنها الغربة والألم والحزن وآلام المحنة.

(٢)

أبوبكر البوسنوي

أصله من بلدة تراونيك. لا نعرف ترجمة حاله، إلا أن له شرحًا على «المقدمة الغزنوية».

(٣)

إبراهيم الأقحصاري

أصله من مدينة أقحصار، ويسميها أهل تلك البلاد ببروساج[١].

له كتاب في الفقه، يُعرف بـ «فتاوى الأقحصاري».

ولا أدري ترجمته.

(٤)

الشيخ إبراهيم بن تيمورخان

ابن حمزة بن محمد البوسنوي الرومي الحنفي.

نزيل القاهرة، المعروف بالقزاز، الأستاذ الكبير، شيخ الطائفة المعروفة بالبيرامية. ترجمه المحبي، في «خلاصة الأثر»، ونسبه كما تقدم. ونسبه غيره، فقال: إبراهيم بن حمزة بن طورخان. والله أعلم.

قال المحبي: كان صاحب شأن عال، وكلمات في التصوف مستعذبة، وألّف رسائل في علوم القوم، منها رسالته التي سماها «محرقة القلوب في الشوق لعلام الغيوب»، وغيرها، وأصله من بوسنة، ولد بها، ونشأ متعبدًا متزهدًا، ثم طاف البلاد، ولقي الأولياء الكبار، وجدّ واجتهد، وصار له في كل بلد اسم يُعرف به، فاسمه في ديار الروم «علي»،

(١) المقصود مدينة بروساتس Prusac التي نسب إليها عدد من العلماء البشانقة بلقب «الأقحصاري». للمزيد حول هذه المدينة وما كانت تمثّله انظر مقالتنا: بروساتس آق حصار – بلدة إسلامية شرقية وسط أوروبا، مجلة «الجيل» ١٢، بيروت ١٩٩٣م، ص ٧٨ – ٨٢.

وفي مكة «حسن»، وفي المدينة «محمد»، وفي مصر «إبراهيم». وأخذ الطريقة البيرامية الكيلانية، عن الشيخ محمد الرومي، عن السيد جعفر، عن أمير سكين، عن السلطان بيرام. وأقام بالحرمين مدة، ثم استقر بمصر، فأقام بجامع الزاهد مدة، ثم بجامع قوصون، ثم بالبرقوقية، ثم قطن بقلعة الجبل، فسكن بمسكن قرب سارية، وجلس بحانوت بالقلعة يعقد فيها الحرير. وكان له أحوال عجيبة، ووقائع غريبة، وحبّب إليه الانجماع والانفراد، وكان في أكثر أوقاته يأوي إلى المقابر بظاهر القلعة، وباب الوزير، والقرافتين، وإذا غلب عليه الحال جال كالأسد المتوحش. وقال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم، وعلي المرتضى بين يديه، وهو يقول: يا علي، اكتب: السلامة والصحة في العزلة. وكرر ذلك، فمن ثم حبب إليه ذلك. وكان يخبر أنه ولد له، فلما أذن المؤذن بالعشاء نطق بالشهادتين، وهو في المهد. وكانت وفاته في سنة ست وعشرين بعد الألف (١٦١٧م). ودفن عند أولاده بتربة باب الوزير، تجاه النظامية، هكذا ذكره الإمام عبدالرؤوف المناوي، في طبقاته «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية». قال المحبي: وما حررته هنا منها مع بعض تلخيص وتغيير ا. هـ كلام المحبي[١].

(٥)

إبراهيم باشا ابن شارح «المنار» أفندي البوسني الأصل البجوي المولد

المؤرخ الجليل.

أبوه وأمه بوسنويان، وأما هو فولد في مدينة بجوى، سنة ثمانين وتسعمائة تقريبًا (١٥٧٢م)، وتوفي أبوه سنة خمس وأربعين وألف (م)، وكان عالمًا، والظاهر أن له شرحًا على «المنار» في الأصول، فذلك يعرف بما تقدم. وعائلة المترجم عائلة مشهورة شريفة، تعرف بآلاي بك زاده، وكان عدة من أسلافه يتولون وظيفة ألاي بك في بلاد بوسنة كقره داود بك، وجعفر بك، وقوجه آلاي بك، فلذلك عرفت عائلته بما ذكرنا.

(١) المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة (دار الكتاب الإسلامي) د.ت، ج١، ص١٦ - ١٧.

ومدينة بجوى، من مدن بلاد المجر الهنكر، كما سماهم ياقوت الحموي، فنسب المترجم إليها، فقيل له البجويّ، ويقال له أيضًا بجويلي، وهذه النسبة على قاعدة اللغة التركية.

وكان المترجم تولى عدة وظائف في بلاده متعددة.

وتوفي سنة إحدى وستين وألف في بلاد بوسنة على غالب الظن.

وله «تاريخ جليل» باللغة التركية، في مجلدين، يحتوي على وقائع مائة وعشرين سنة، من سنة ست وعشرين وتسعمائة إلى سنة تسع وأربعين وألف (١٥١٩-١٦٣٩م)، كتبه بلغة سهلة مفهومة، معرضًا عن تكلف الأسجاع، مستندًا على ما عاينه وشاهده، ونقله إليه الثقات، متحريًا للحق، مبتعدًا عن خرافات عشقها أكثر المؤرخين. وهذا هو الذي يتميز به نقاد أهل التاريخ، وفي «تاريخه» معلومات مهمة تتعلق ببلاد المجر وفتحها[١].

(٦)

إبراهيم جلبي بن رمضان آغا
المتخلّص ببزمي الملقّب بياساقجي زاده

ذكره شيخي زاده، في «ذيله». فقال ما معناه: كان رجلًا مشهورًا بالمعلومات العالية، حسن العشرة، محبوبًا إلى الناس ا. هـ .

ولما توجه قره مصطفى باشا مع الإنكشاريين إلى محاصرة مدينة وينا[٢]، كان المترجم من جملة من توجه معهم، فحين المحاصرة في رمضان سنة أربع وتسعين وألف (١٦٧٣م)، ضربته قنبلة المدفع، وذهبت برجله، فتوفي بسبب ذلك بعد أيام.

وكان شاعرًا ماهرًا في اللغة التركية، له «ديوان شعر» مرتب. وذكر شيخي زاده من شعره أمثلة.

---

(١) للمزيد حول هذا المؤرخ وتاريخه انظر مقالتنا بمناسبة صدور «تاريخ بجوي» في اللغة البوسنوية: بريشتينا تحتفي بالمؤرخ إبراهيم الاي بيغوفيتش وتصدر «تاريخ بجوي» بالبوسنوية، جريدة «الحياة» ٢٠٠٩/١/٣.
(٢) المقصود هنا فيينا عاصمة النمسا.

(٧)

إبراهيم أفندي بن خرم آغا البوسنوي السرائي
الملقّب بآلتي بارمق

ولد في بلدة سراي، وسلك طريق العلم، ثم صار مدرسًا في عدة مدارس، وتولى القضاء في عدة بلاد، منها، القدس والشام وبروسه وغيرها، وتولى الإفتاء ببلدة ولادته.

وتوفي سنة أربع وثمانين وألف (١٦٧٣م) عن خمس وتسعين سنة.

وكان أبوه خرم آغا من الأغنياء، ترك بعده أوقافًا، وينسب إليه إلى الآن محلة ببلدة سراي.

(٨)

إبراهيم بك بن سليمان بك فرهاد باشازاده البوسنوي

كان مدرّسًا في عدة مدارس في استانبول، ثم عُيّن قاضيًا ببغداد، ولكن عزل قبل أن يتولى ذلك المنصب.

وكانت وفاته سنة أربع وثمانين وألف (١٦٧٣م).

(٩)

إبراهيم أفندي البستريقي السرائي البوسنوي

ولد في مدينة سراي، في محلّة تسمى بستريق، وأخذ عن علماء بلاده، ثم رحل إلى استانبول لإكمال التعلم، ودخل في الطريقة الخلوتية، وخدم الشيخ مصلح الدين من بلدة أوزيجه، وأخذ منه الإجازة بالإرشاد، فلما رجع إلى بلاده، بنى زاوية في محلة ولادته، وكان تولى الإفتاء بمدينة سراي. وكان رجلًا صالحًا إلى الغاية، عاش مقبلًا على الزهد والعبادة.

وتوفي سنة خمس وسبعين وألف (١٦٦٤م)، عن مائة وعشرين سنة.

وللناس فيه اعتقادٌ، ويحكى عنه كراماتٌ، وقبره في فناء الجامع السلطاني، رحمه الله تعالى.

(١٠)

إبراهيم بن الحاج إسماعيل أفندي

كان من تلاميذ الشيخ مصطفى بن يوسف الموستاري، الآتية ترجمته.

وأبوه أيضًا من العلماء، أخذ عنه الشيخ مصطفى بن يوسف المذكور.

وللمترجم تأليف باللغة العربية، ترجم فيه حياة شيخه، سماه «مناقب الفاضل المحقق مصطفى بن يوسف الموستاريّ»، أوله: الحمد لله الذي جعل العلماء بفضله كالأعلام، ومهد بهم قواعد الشرع وشيّد مباني الإسلام إلخ[(١)].

ولا ندري شيئًا من ترجمة حاله سوى ما ذكرنا، ولا سنة وفاته.

(١١)

إبراهيم أفندي البوسنوي

تعلّم في بلاده، ثم سافر إلى استانبول، وأخذ العلم عن علمائها، إلى أن صار سنة تسع وتسعين وألف مدرّسًا في دار الحديث في استانبول.

وكانت وفاته سنة ست ومائة وألف (١٦٩٤-١٦٩٥م).

(١٢)

إبراهيم أفندي البوسنوي
المشتهر برفقي ملازمي

كان من مشاهير المدرسين، وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف (١٧١٨-١٧١٩م).

---

(١) للمزيد عن إبراهيم أفندي أو إبراهيم أوبياتش I.Opijac انظر: عامر ليوبوفيتش- سليمان جروزدا نوفيتش، الأدب النثري للبوسنة والهرسك باللغات الشرقية، ترجمة وتقديم د. جمال الدين سيد محمد، القاهرة (المركز القومي للترجمة) ٢٠٠٨م، ص٣٠٧ - ٣٠٩.

(١٣)

إبراهيم أفندي البوسنوي

أصله من بلد بوزه غا[1]. أخذ العلم عن علماء بلاده، ثم رحل إلى القسطنطينية، وطلب العلم بها، إلى أن صار مدرّسًا سنة تسع وتسعين وألف (١٦٨٧-١٦٨٨م)، ثم كان قاضيًا في بوسنة، وبعد ذلك قاضيًا في بلدة قيصرية.

وتوفي بها، سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف (١٧١٨-١٧١٩م).

(١٤)

إبراهيم أفندي البوسنوي

كان من مشاهير المدرسين، توفي سنة ثلاثين ومائة وألف (١٧١٧-١٧١٨م).

(١٥)

إبراهيم أفندي
المشتهر بأوزوني زاده ملازمي

أخذ العلم في مدينة سراي عن علمائها، ثم ذهب إلى استانبول، وجدّ واجتهد إلى أن صار مدرّسًا، فدرّس في عدة مدارس.

وكانت وفاته سنة تسع وثلاثين ومائة وألف (١٧٢٦-١٧٢٧م).

(١٦)

إبراهيم المتخلّص بذكري

أحد مشاهير الشعراء المتأخرين في اللغة التركية.

ولد سنة عشر ومائتين وألف (١٧٩٥م)، في بلدة أوزيجه، وتعلّم من علماء بوسنة ثم استقر في بلدة بلغراد، مشتغلًا بالشعر والتأليف.

(١) المقصود مدينة بوجيغا Pozega التي تقع الآن في جنوب شرق كرواتيا بالقرب من الحدود مع البوسنة.

ذكره فطين، في «تذكرته»، وذكر أن له أشعارًا كثيرة، وآثارًا أخرى، ثم أورد أمثلة من شعره.

هذا، وقد ذكره محمد طاهر البروسوي، في كتابه «عثمانلي مؤلفلري»، وقال: إنه توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف (١٧٦٩م). هكذا وجدناه، ولعل الصواب، ومائتين وألف (١٧٧٥م). ثم ذكر محمد طاهر أنه كان مشهورًا بلقب كوجوك آغا، وأنه ألّف كتابًا في مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، سماه «مورد الوصول في مولد الرسول»، وشرحه بنفسه، وذكر أن له رسائل متعددة، وذكر من ضمن أشعاره بعض الأشعار المنسوبة عند غيره لأبي بكر ذكري السابق ذكره، فلعله اشتبه عليه هذا بهذا. والله أعلم[١].

(١٧)

إبراهيم أدهم بك باش آغازاده

والد صفوت بك، الآتي ذكره.

ولد سنة ست وخمسين ومائتين وألف (١٨٤٠م)، في بلدة نوسين[٢]، من بلاد هرسك، وتعلم من علماء بلاده، ثم تقلد عدة وظائف.

وكانت وفاته سنة عشرين وثلاثمائة وألف (١٩٠٢م).

وكان رحمه الله عارفًا باللغة التركية والعربية والفارسية، وله أشعارٌ بالتركية، وهو أول من اشتغل بإحياء ذكرى عظماء بلاده بوسنة، فكتب في النتائج السنوية المسماة بـ «بوسنة سالنامه لري»[٣] تراجم عدة من عظماء تلك البلاد، كترجمة درويش باشا الموستاري ونركسي السرائي وكافي الأقحصاري وغيرهم. وكان من عزمه أن يترجم باللغة البوسنوية رسالة الغزالي المسماة «يأيها الولد» و«أطواق الذهب»، للزمخشري لكن المنية قطعت الأمنية. ولما توفي رثاه ابنه صفوت بك بهذه الرباعية الفارسية:

---

(١) اهتم مؤخرًا الباحث صالح تراكو بهذه الشخصية ونشر عنها دراسة بمعطيات جديدة مع التركيز على شرحه لمولد سليمان جلبي «وسيلة النجاة»:

Salih Trako, Ibrahim Zikruju, Komentator, Sulejmen Celebijina dela "Vasilet n - Nedzat" Anali GH13, XI - XII, Sar. N 85, pp. 165 - 180.

(٢) المقصود مدينة نفسينيه Nevesinje التي تقع الآن في أقصى جنوب شرق البوسنة.

(٣) المقصود «حوليات البوسنة» أو السالنامات التي كانت تصدرها الإدارة العثمانية عن كل ولاية.

ناموس مجسم بود در ديده دشمن ودوست

فانوس مجلى بود در حلقه أهل بوست

همراه وطن برور همراى هنر آور

بقاى نيكو نامى سرماية عمر أوست[(١)]

(١٨)

أحمد شمس الدين البوسنوي السرائي

الملقّب بزال محمود باشا خواجه سي

ترجمه صاحب «العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم». فقال: ومنهم – أي من العلماء الذين توفوا في عهد السلطان مراد بن سليم – العالم الأمجد المولى شمس الدين أحمد. ولد رحمه الله تعالى في بلدة سراي، ونشأ طالبًا للعلوم والمعارف، ومستفيدًا من كل عالم عارف، وتحرك في ميدان التحصيل والاستفادة، حتى صار ملازمًا من المولى محيي الدين المشتهر بعرب زاده، في مدرسة السيدة مهروماه ببلدة أسكدار بطريق الإعادة، وتنقلت به الأطوار والأحوال، وتميّز بتعليم الوزير محمود باشا بزال، ودرّس أولًا بمدرسة أفضل زاده بثلاثين، ثم مدرسة إبراهيم باشا بأربعين، كلتاهما بقسطنطينية، ثم مدرسة يلدرم خان بمدينة بروسة بخمسين، ثم إلى مدرسة السلطان محمد بالمدينة المزبورة. وقد توفي، رحمه الله، مدرّسًا بها وهو في عنفوان شبابه، وذلك في شهر رجب، سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة (١٥٧٥م). كان، رحمه الله، عالمًا عارفًا، حسن السمت، مرضيّ الطرق، مقبول السيرة، نقي السريرة، صاحب ذهن سليم، وطبع مستقيم، مكبًا على الاشتغال، معرضًا عن القيل والقال، جيد الكتابة، حسن الخط، لم يعرف السوء قط. وكان المرقوم، قادرًا على المنثور والمنظوم، عارفًا بكلام العرب، متضلعًا بأنحاء الأدب. ا. هـ[(٢)].

---

(١) **ترجمتها إلى العربية:**

كان مُشَرَّفًا مُجَسَّمًا في عينِ العدوِّ والحبيبِ

كان سراجًا منيرًا في حَلْقَةِ أهلِ بوست

كان مرافقًا للوطنيِّ وموافقًا لكلِّ ذي فضلٍ

رأسُ مالِ عُمْرِهِ بقاءُ سيرتِه الطيبة

(٢) **علي بن بالي، العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، ج٢، ص٥١٨.**

وله، رحمه الله، رسالة بليغة في «وصف القلم» على عادة بُلغاء زمانه، وأخرى كذلك في «وصف السيف» ذكرهما صاحب «كشف الظنون». وهاك مثالاً من الأولى في وصف القلم:

شجرة تخرج من طور سيناء، أصلها ثابت وفرعها في السماء، إذا نزل عليها الماء اهتزت، وكلما أتت بأثمارها دبّت، يوسف عانقه إخوته عناق الحب، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب، قدّ قميصه من غير طغيان، سجن وليس له عدوان، تارة تراه وهو كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، ومرة تلقاه كطائر يطير بجناحيه على قفاه، مليحٌ شفته لعساء وهو أحلس، أمرط لا ينجو عن القادح وقد يبتلى بالضرس، مفلج الثنايا مخضوب البنان، كريم المركب يداه مبسوطتان، ربما يقعد على النهر ويدلي رجليه فيه، قلما يقوم يتكلم فيسيل الدم من فيه، يراعه قد تنعش في جنح الظلماء، جريح غسق جرحه وهو ملقى الأمعاء، طويل العماد، دعامةٌ من أوتاد الأفراد، ساق يُراوح بين قدميه قائمًا على ساق، رقيق لا يستخدم بدون الغل وليس بأبّاق، آدم أعطي لسانًا وشفتين، وله قوة مودعة في الزائدتين الناتئتين، ماض ذو الثلاثة ليس بمضارع مقرون، لا يأمن الكسر وإن قارن النون، وضع لإنشاء المح والذم، دخل تحت الإبهام وهو على جسم نام، متحرك في بعض الأحيان، جوهر يقوم به الأعراض من الألوان، فتى ذو حال كلما أحال، لا يخلو كلامه عن القيل والقال إلخ.[1].

وهاك مثالاً من «الرسالة السيفية»:

فيا سائلي عن أصل ذلك النصل، استمع لما يتلى عليك في هذا الفصل، إنه نص قاطع، وبرهان ساطعٌ، ذو النون ذهب مغاضبًا فالتقمه الحوت فنادى في ظلمة فاحمة، فنبذناه وأنبتنا عليه شجرة قائمة، ذو القرنين بقبضته الشرق والغرب، ولد اليد الطولى في كل ضرب من الحرب، سلطان مصري، فاتح الشامات قاهر الروم، قهرمان دمشقي، مالك رقاب العجم والروم، عضد الدولة، رونق الملة، فتح لأوليائه، ومقت لأعدائه، طالما أبعد نفسه عن أن ينام، فأنام تحت ظله الأنام، في شجرة النسب فناري، أما في الغضب فناري، كرماني يشرح ما في متنه من المأثور، ويسمع أثناء محادثته باللؤلؤ المنثور،

(١) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ٥١٨.

إشراقي بجلائه الطبع وصفائه الحميم، وقد كان في شرحه من المشائين بنميم، خرجت من منكبيه الأفعيان فكأنه ضحاك، ناسب أن ينسب إلى تيمور حيث إنه سفاك، حديد اللسان في تبيانه، ومن لسانه علوّ شأنه، صحيح الصلب عارضه مصقول، ناحل قد يعرض له ذات الجنب وهو مسلول، تارة تراه وهو من أصحاب اليمين يتلألأ وجهه البريق بأنوار مشرقة مغرمًا، ومرة تلقاه وهو من أصحاب الشمال الذين أغشيت وجوههم قطعًا من الليل مظلمًا، اسمه خليل، وكنيته أبوالسليل، الصاحب بالجنب وابن السبيل، ألف القطع يثبت في أيدي الأخيار، ولا يسقط عن رؤوس الأشرار، عابد يداوم الخمس في وقتها المختار، زاهدٌ أليف الوحدة معتكف الغار، معصوب بل عطشان، ضاحكٌ مع أنه غضبان، مغيث وهو النذير العريان. إلخ[١]

وقد أورد من تينك الرسالتين صاحب «العقد المنظوم»، وابن نوعي، في «ذيل الشقائق» أكثر مما أوردناه، ولم ننقل كل ما ذكراه؛ لرداءة النسخ وكثرة غلطاتها، والتكلف في ما ذكرناه ظاهرٌ، ألفاظٌ مسرودة فارغة عن المعاني. والله أعلم[٢].

(١٩)

أحمد، المتخلّص بوالي

أصله من يكيبازار[٣].

وذكر شمس الدين سامي، في «قاموس الأعلام» أن اسمه عبدالرحمن. والله أعلم.

كان من شعراء القضاة وقضاة الشعراء.

ذكره رضا، في «تذكرته»، وقال عنه ما معناه: هو والي بلاد البلاغة، ومالك أقاليم العلم والمعرفة. ا. هـ .

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٢، ص ٥١٨.

(٢) للمزيد عنه انظر: ليوبوفيتش – غروزدانوفيتش: Ljubovic - Grazdanovic, pp. 64 - 196.

(٣) المقصود يني بازار أو نوفي بازار Novi Pazar كما تشتهر الآن، عاصمة إقليم السنجق الذي كان يفصل بين البوسنة وكوسوفا، الذي احتلته صربيا والجبل الأسود خلال الحرب البلقانية ١٩١٢م. بعد انهيار يوغسلافيا واستقلال الجبل الأسود في ٢٠٠٦م، توزع السنجق على الدولتين وغدت نوفي بازار مقرًا لـ «المشيخة الإسلامية في صربيا».

له شعر كثيرٌ بالتركية، وأكثر من نظم الألغاز والمعمَّيات، وبيته هذا حسن:

ايرمكدرا وقامت بالايه نيتم

افتاده يم وليك بلنداو لدى همتم[١]

توفي سنة سبع وألف (١٥٩٨م)، في بلدة ولادته يكيبازار.

(٢٠)

أحمد المتخلّص بطالب

والمعروف برئيس الكتاب أفندي

هو بوسنوي، وكان شاعرًا مجيدًا باللغتين التركية والفارسية.

تعلم العلم في بلاده، ثم رحل إلى استانبول، فبعد تمام التعلم ساعده الحظ، فتقلد عدة وظائف عالية، واشتغل بها إلى أن أدركه الموت، سنة خمس وثمانين وألف.

وله شعر كثيرٌ بالتركية والفارسية، وهذان البيتان لا بأس بهما:

ممكن اولماز وصل دلبر كثرت اغياردن

كويابر غنجه درال ايرمزا كاخاردن

جشم مستندن نكاه لطف ايدرسن آرزو

طالبا درمان أو مرسن دردينه بيماردن[٢]

---

(١) **ترجمتها إلى العربية:**
إنَّني عازمٌ الوصولَ إلى هذه القامةِ الهَيْفاءِ
نعم سقطت ولكنَّني أصبحْتُ ماضي العزمِ والعزيمة.

(٢) **ترجمتها إلى العربية:**
استحالَ وَصْلُ الحبيبِ لكثرةِ العواذل
كما يستحيلُ الوصلُ إلى البراعمِ وقد أحاطَتْ بها الأشواكُ.
يا طالبُ إذا كُنْتَ نظرةَ اهتمامٍ منَ عَيْنِها الناعسة
فأنت كمَنْ يَأْمَلُ العلاجَ على يدِ المريض.

(٢١)

أحمد بن درويش باشا الموستاري

مخلصه صبوحي. ذكره فوزي الموستاري في كتابه «بلبلستان» فقال باللغة الفارسية: درويش باشازاده، رحمة الله عليهما، دررسوم نظم ونثر از بدرش بيشتر نكته دان وخرده سنجان است همه اشعاروى در تركى وفارسى ايهام دارومتين وخوب است بى ريب كمان اسرار الولد سر أبيه دروى ظاهر شده ا. هـ، ومعناه: ابن درويش باشا، رحمة الله عليهما، فاق أباه في النظم، والنثر، له معان لطيفة دقيقةٌ، وأشعاره التركية والفارسية متينة وجميلة، ذات توريات حسنة، ولا شك أنه ظهر فيه سر الكلمة المأثورة: الولد سر أبيه.

وقد ذكر فوزي شيئًا من شعره الفارسي، وهذان البيتان له أرسلهما إلى السلطان، ولا بأس بهما:

بادشاهم بنم اقرانم اولان بنده لرك

كمى بكلربكى اولدى كمى الآن بكدر

قلعة تنده جالرشمدى بزم نوبتمز

جيقار ربرج بدندن كوكل الله يكدر[١]

ولا ندري سنة وفاته.

(٢٢)

أحمد أفندي بياضي زاده البوسنوي الأصل

ولد في استانبول سنة أربع وأربعين وألف (١٦٣٤م)، وسيأتي ذكر أبيه حسن أفندي.

وتعلم المترجم في استانبول، وأخذ عن علمائها في زمنه، كمنلا جلبي، وأوزون حسن أفندي، وشيخ الإسلام أبي سعيد، ولازم الأخير مدة، وجدّ واجتهد إلى أن انخرط

(١) ترجمتها إلى العربية:
البعضُ صَارَ أميرَ الأمراءِ/ والبعضُ ما زالَ أميرًا. دق ناقوس نوبتنا في الجسد/ ويخرج القلب من برج البدن (الله واحد).

في سلك المدرسين، ودرّس في مدارس أدرنة واستانبول، ثم صار قاضيًا بحلب، سنة سبع وسبعين (١٦٦٦م)، ثم في بروسة، ثم في مكة سنة ثلاث وثمانين (١٦٧٢م)، ثم في استانبول سنة ست وثمانين (١٦٧٥م)، في زمن السلطان محمد خان الرابع، ثم عُيّن سنة إحدى وتسعين (١٦٨٠م) صدر الروم.

وتوفي في جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وألف (١٦٨٧م)، في قرية قريبة من استانبول. وأرَّخ شمس الدين سامي وفاته سنة ست وتسعين (١٦٨٥م). وما ذكرنا هو الأصح.

وترجمه صاحب «خلاصة الأثر» فقال: أحمد بن حسن بن الشيخ سنان الدين البياضي الرومي الحنفي، قاضي العسكر، وأحد صدور الدولة العثمانية، من أجلاء علماء الروم، وأجمعهم لفنون العلم، وكان صدرًا، عالمًا، وقورًا، جسيمًا، عليه رونق العلم، ومهابة الفضل، واشتهر بالفقه وفصل الأحكام، وشاعت فضائله وذاعت. وقد أخذ عنه جماعة منهم شيخ الإسلام يحيى بن عمر المنقاري[1]، وحجّ مع والده، وحضر دروس الشمس البابلي بمكة لما كان أبوه قاضيًا بها، وأجازه في عموم طلبته، ونَبُلَ، ودرّس بالروم، وأفاد، وولي قضاء حلب، في سنة سبع وسبعين وألف، واعتنى به أهلها، وبالغوا في توقيره وتعظيمه، وجرى له مع مفتيها العلامة محمد بن حسن الكواكبي[2] مباحثات ومناقشات كثيرة دونت واشتهرت عنهما، ثم عزل وولي قضاء مكة، في سنة ثلاث وثمانين وألف (١٦٧٢م)، وسار فيها أحسن سيرة، وعقد بمجلس الحكم درسًا، وقرأ «شرحه» على «الفقه الأكبر»، وهو شرحٌ استوعب فيه أبحاثًا كثيرة، وأحسن فيه كل الإحسان، وسماه «إشارات المرام من عبارات الإمام»، وقد رأيته بالروم، واستفدت منه، ثم عزل عن قضاء مكة، وقدم دمشق، واجتمعت به فيها، فرأيته جبلًا من جبال العلم راسخ القدم. ثم

(١) أحد الأعلام في الحديث والفقه الذين ترجم لهم المحبي: خلاصة الأثر، ج٤، ص ٣٩ - ٤٢.

(٢) مفتي حلب ومقدّم أسرة الكواكبي، التي لا تزال معروفة في حلب بما أنجبت من علماء وكتّاب، الذي ترجم له المحبي أيضًا: خلاصة الأثر، ج٣، ص٤٣٧ - ٤٣٩.

ولي قضاء قسطنطينية في أواخر سنة ست وثمانين وألف (١٦٧٦م)، وكنت إذ ذاك بها، ثم ولي قضاء العسكر بروم إيلي وكان يوم ولايته كثير الثلج فأنشدت بعض حفدته قولي:

والأرضُ سُـــــرَّتْ بـــه لـهـذا

قــد لَــبِــسَــتْ حُــلَّـــةَ الـبـيـاضِ

ووقع في أيام قضائه أنه ثبت على امرأة زنى بها يهودي، وشهد أربعة بالزنى على الوجه الذي يقتضي الرجم، فحكم برجم المرأة، فحفر لها حفيرة في آت ميداني، ورجمت. وهذا الأمر لم يقع إلا في صدر الإسلام، ثم عزل، وأقام بداره مدة، إلى أن توفي إلى رحمة الله تعالى، وكانت وفاته في إحدى الجماديين سنة ثمان وتسعين وألف (١٦٨٧ م). ا. هـ كلام المحبي[١].

قلت كان، رحمه الله تعالى، عالمًا فاضلًا، وقاضيًا عادلًا، شاعرًا مجيدًا، وفي زمانه فريدًا، متشرعًا إلى الغاية.

ذكره شمس الدين سامي وقال عنه ما معناه: اكتسب بغض العامة ونفرتهم عنه بأشياء، وهي تعصبه، وإجراءه حد الرجم بأول مرة في الدولة العثمانية، وذلك سنة إحدى وتسعين (١٦٨٠م)، وبقتله محمد أفندي روزنامجه جي بانبرون زاده، بعد اتهامه بالإلحاد والزندقة ا. هـ .

قلت: انظر إلى هذا المدح، وقائله يراه ذمًا، أليس من أول فضائله إجراؤه حدود ربه، وقتله أعداء دينه، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

ووقفت على أسامي بعض تآليفه سوى «إشارات المرام»، وهي «سوانح العلوم» ألّفه في ستة فنون، «الفقه الأبسط». وذكر بعضهم أن له كتاب «العالم» وكتاب «الوصية»، ولعل هذا غلط، ولعل الصواب أن له «شرحًا» على كتاب «العالم المتعلم»، و«شرحًا» على كتاب «الوصية»، كلاهما منسوبان للإمام أبي حنيفة، رضي الله عنه، وله أيضًا حواش وتعليقات على بعض الكتب. والله أعلم.

(١) المحبي، خلاصة الأثر، ج١، ص٨١ - ٨٢.

(٢٣)

أحمد أفندي البوسنوي

الملقّب بدلي برادر خواجه سي

كان من العلماء المدرسين المشاهير، درّس في عدة مدارس، ثم عُيّن سنة خمس وخمسين وألف (١٦٤٥م) قاضيًا في بلاده بوسنة.

وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين وألف (١٦٧٢م).

(٢٤)

أحمد المتخلّص برشدي

ويعرف أيضًا برشدي مخاف

ولد في مدينة موستار، سنة سبع وأربعين وألف (١٦٣٧م). وذهب إلى استانبول وهو صغير فتعلّم هناك، وتقلّب في عدة وظائف. وفي الكبر أدركته مصيبة موت ولده، فغيّرت حاله، وأثّرت فيه تأثيرًا عظيمًا.

قال سالم، في «تذكرة الشعراء»: إن المترجم بعد ما أصابته المصيبة المذكورة حفر لنفسه قبرًا جنب قبر ابنه، فكان يزوره كل يوم، وقضى بقية عمره في الزهد والعبادة والإعراض عن الدنيا والناس، إلى أن أدركه الموت سنة إحدى عشرة ومائة وألف (١٦٩٩م)، فدفن بوصيته في القبر الذي هيّأه لنفسه.

وكان شاعرًا بليغًا باللغتين التركية والفارسية، له فيهما أشعار كثيرةٌ حسنةٌ. وهذا البيت المفرد له، وهو حسن:

جكمه زحمت يوق بره أى عندليب خوش نوا

كلشن عالمده قوبمزبر كل صاحب وفا(١)

---

(١) **ترجمته إلى العربية:**
لا تُرْهِق نَفْسَكَ أَيُّها العندليبُ صاحبَ اللَّحْنِ الجميل فَمَا مِنْ مُجيب لك. والصاحب الوفي لا يقطف الوردة من بستان الدنيا.

وهذا البيت لا بأس به أيضًا:

هرنه دكلوا موج اسا ايلم ميل كنار

بحر غمدن جيقمغه بر لحظه قورمى روزكار[١]

(٢٥)

أحمد أفندي يسري بن مصطفى آغاجول باشا البوسنوي

أخذ العلم من علماء استانبول، وبرع في العلم واشتهر، وحاز قصب السبق فيه، حتى صار مدرسًا في مدرسة حسن باشا باستانبول، وهو ابن عشرين سنة، ثم عُيّن قاضيًا في مدينة فلبه[٢]، ثم في الشام.

وتوفي بها سنة خمس ومائة وألف (١٦٩٣-١٦٩٤م)، ودفن بصالحية دمشق.

وكان، رحمه الله، عالمًا فقيهًا، شاعرًا نبيهًا، حسن الإلقاء بليغ العبارة، يطري البلغاء إنشاءه بالتركية، له أشعارٌ باللغات الثلاث؛ العربية والتركية والفارسية. وله من التآليف؛ كتاب بالتركية يسمى «تركي منشآتي»، وألف بالعربية «شرحًا» واسعًا على كتاب صدر الشريعة[٣]، في الفقه الحنفي، وصل فيه إلى كتاب البيوع.

وقد ذكر شيخي زاده، في «ذيله»، وسالم في «تذكرته» أمثالًا من شعره، ولم أظفر بشيء منه باللغة العربية حتى أورده.

(٢٦)

أحمد بن عثمان شهدي آق اووه لي زاده المتخلّص بخاتم

أبوه عثمان شهدي له كتبخانه في بلدة سراي.

وأما المترجم، فكان من علماء الشعراء، متفننًا. له شعر في اللغة العربية والتركية والفارسية، له «ديوان» مرتب يتضمن شعره، وهو مطبوع، وله من التآليف، «منظمة في

---

(١) **ترجمته إلى العربية:** هل ستكون الرياح مؤاتية للخروج من بحر الأحزان/ مهما غالبت الأمواج طالبًا بر الأمان.

(٢) **المقصود مدينة بلوفديف Plovdiv الحالية التي تقع الآن في وسط بلغاريا وتعتبر المدينة الثانية من حيث الحجم بعد العاصمة صوفيا.**

(٣) **المقصود هنا عبيدالله بن مسعود المحبوبي البخاري (توفي ٧٤٧هـ) المعروف بصدر الشريعة الأصغر وكتابه «شرح الوقاية» في الفقه الحنفي.**

الأخلاق»، و«شرحها»، و«شرح الشاهدية» في اللغة الفارسية، و«شرح رسالة ألفاظ الكفر»، و«شرح اللمعة» في علم الحساب، و«شرح ملتقى الأبحر»، ومن منظومته في الأخلاق نسخة بخطه في كتبخانه عاشر أفندي في استانبول، وكتب فيها اسمه هكذا: خادم بني آدم آق اووه لي زاده خاتم.

وجمع تلميذه محمد سعيد أفندي المعروف بابن ريحان، تقريراته المتنوعة باللغة العربية في كتاب، سماه بـ «الفوائد الخاتمية».

وكانت وفاته في روم إيلي، في يكيشهر[1]، سنة ثمان وستين ومائه وألف (١٧٥٤-١٧٥٥م).

وآق اووه: بلدٌ في بكي يازار، شرقي بلاده بوسنة[2].

(٢٧)

أحمد أفندي البوسنوي

أحد العلماء، عُيّن سنة خمس وعشرين ومائة وألف (١٧١٣م) مفتيًا في مدينة سراي، ثم عزل، فتولى القضاء في مدينة قونية، ثم في أرضروم.

وتوفي في سنة تسع وعشرين ومائة وألف (١٧١٦-١٧١٧م).

(٢٨)

أحمد أفندي الأقحصاري البوسنوي

أصله من آقحصار بوسنة. وذهب إلى استانبول وهو صغير فأخذ من علمائها، ولازم محمد أفندي شعبان زاده، فلقب بشعبان زاده كتخداسي. ثم صار مدرّسًا، ودرّس في مدارس كثيرة في استانبول.

توفي سنة خمس عشرة ومائة وألف (١٧٠٣م)، وهو قاضٍ في بلاد بوسنة.

---

(١) هناك عدة مدن في الدولة العثمانية كانت تحمل هذا الاسم منها العاصمة الأولى للإمارة العثمانية، والمقصود هنا مدينة لاريسا Larisa مركز إقليم ثساليا المطل على بحر إيجة الذي ضمّ إلى اليونان في ١٨٨١م.

(٢) المقصود مدينة بيلو بوليه Bijelo Polje التي تقع الآن في أقصى شمال شرقي جمهورية الجبل الأسود.

(٢٩)

أحمد بن حسن البوسنوي

كان في زمن السلطان محمود[١].

له شرح على «الفريدة» في الاستعارات، سماه بـ «الشرح المفيد». ولا ندري شيئًا من أحواله سوى ما ذكرنا.

(٣٠)

أحمد أفندي البوسنوي

كان من مشاهير المدرسين، وذلك بعد ما تعلّم في مدارس استانبول. وعُيّن سنة تسع عشرة ومائة وألف (١٧٠٧م) قاضيًا في بوسنة.

وكانت وفاته سنة تسع وعشرين ومائة وألف (١٧١٦-١٧١٧م)، وهو قاضٍ في بلدة قونية برتبة المدينة.

(٣١)

أحمد أفندي الموستاري

من بلدة موستار. له «فتاوى» مشهورة، كان القضاة في الزمن السابق يتداولونها، ويعتمدون عليها، وهي مشهورة بـ «فتاوى أحمدي»، وله تأليف آخر سماه «أنيس الواعظين».

وكانت وفاته سنة تسعين ومائة وألف (١٧٧٦م). ولا أدري من ترجمة حاله سوى ما ذكرت.

(٣٢)

المولى أحمد البوسنوي

ويعرف بأحمد الصوفي

ولد في مدينة سراي. وأخذ العلم عن العلماء، ولازم دكمه جي زاده أفندي، ثم درّس في مدارس عديدة.

(١) لدينا في تاريخ الدولة العثمانية السلطان محمود الأول الذي حكم خلال ١٧٣٠ - ١٧٥٤م، والسلطان محمود الثاني الذي حكم خلال ١٨٠٨ - ١٨٣٩م، ولا يوضح المؤلف هنا أي واحد يقصد.

وتوفي سنة إحدى وثلاثين وألف (١٦٢١-١٦٢٢م).

وكان، رحمه الله تعالى، فاضلًا كاملًا، من أهل العلم المطلعين على علوم الشريعة والحقيقة.

ذكره ابن نوعي، فأطراه.

(٣٣)

أحمد أفندي الملقّب بكسرى

وسيأتي ذكر أبيه علي أفندي.

ولد المترجم في مدينة سراي، وكان ممن تولى الإفتاء بها.

وتوفي سنة ثمان عشرة ومائتين وألف (١٨٠٣م).

(٣٤)

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إدريس البوسنوي الأصل

وسيأتي في الميم ذكر أبيه محمد، وذكر ابنه محمد أيضًا، إن شاء الله تعالى.

ذكره صاحب «سلك الدرر»، في ترجمة ابنه، وترجمه صاحب «خلاصة الأثر» فقال: الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن إدريس - كذا بإسقاط محمد قبل إدريس، والصواب إثباته - المنعوت شهاب الدين الحلبي الأصل، الدمشقي المولد، المعروف بابن قولقسز، الفقيه الحنفي، كان من أجلّ الفقهاء المشهورين بسعة الاطلاع والتبحر، تفقّه على والده شمس الدين، والشمس محمد بن هلال، وبه تخرّج في كتابة الأسئلة المتعلقة بالفتاوى، حتى إنه فاق فيهما من تقدمه، واشتهر ذكره، وصار مرجعًا للناس في المشكلات، وانتفع به جماعة كثيرة؛ منهم عبدالوهاب بن أحمد الفرفوري[١]. ودرّس بالمدرسة الفارسية[٢]،

(١) المقصود هنا شرحه على رسالة الاستعارة للسمرقندي، وقد اهتم بها د. أسعد دوراكوفيتش ونشرها مع ترجمة للبوسنوية ودراسة واسعة عن الأسلوبية العربية

Esad Durakovic,arapska stilistika u Bosni: Ahmed sin Hasanov Bosnjak o metafori,Sarajevo (Orijentalni institute) 2000.

(٢) مفتي الشام الذي ترجمه المحبي أيضًا: خلاصة الأثر، ج٣، ص١٠٠ - ١٠١.

وكانت ولادته في سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة (١٥٧٥م). ومات في تاسع شهر ربيع الأول، سنة سبع وثلاثين وألف (١٦٢٧م)، ودفن بمقبرة باب الصغير، بالقرب من مزار بلال الحبشي.

وقولقسز: لفظة تركية، معناها عادم الأذن. وهو والد محمد بن قولقسز. الذي تولى النيابة الكبرى بدمشق، ودرس بالشبلية[١]. ا. هـ[٢]

(٣٥)

إسكندر الرومي

ترجمه المحبي، في «خلاصة الأثر»، فقال: إسكندر بن يوسف بن إسحاق الرومي الأصل، الدمشقي، أحد كتّاب خزينة الشام. وهو ابن أخت إبراهيم بن عبدالمنّان الدفتري[٣]. وأصله من بوسنة كان كاتبًا منشئًا، عارفًا بالقوانين العثمانية، وله خبرة تامة بالحساب وإنشاء الرسائل التركية، مع جرأة وإقدام، وهو الذي سعى في قطع رزق العلماء والصلحاء بالشام من جوالي السلطان، وسافر إلى الروم، وتعاضد هو والدفتري بالشام إذ ذاك وبعض عونة من الكتّاب وعرضوا ما أبرموه على الوزير، فجرت المقادير على وفق ما أحكموه من الرأي الفاسد، وقطع عن الناس شيء كثيرٌ. وبسبب ذلك ضعفت قوة العلماء بالشام واستولى عليهم الفقر، وكان ذلك في حدود سنة ستين وألف (١٦٥٠م)، ومما قيل في هذا الخطب الفادح:

شكَتْ الشَّامُ غَمَّها المتوالي
نحو بابِ المُرادِ في عَرْضِ حالِ
فَقْرُ أَهْلي وفاقَةُ النَّاسِ فاقَتْ
والجوالي لها احتراقُ الجوى لي

---

(١) أنشأها في العهد المملوكي الأمير سيف الدين فارس سنة ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م في رأس سوق السلاح المجاور للجامع الأموي، ولايزال مبناها قائمًا بعد أن تحول إلى مسجد: د. قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي ١ - ٢، دمشق (وزارة الثقافة) ١٩٩٩م، ج٢، ص٢٠١.

(٢) المحبي، خلاصة الأثر، ج١، ص٣٠١. والأصل لدى المرادي، سلك الدرر، ج٤، ص٢٩. والمدرسة الشبلية المذكورة أنشأها في العهد الأيوبي الأمير شبل الدولة كافور الحسامي (توفي ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م) في محلة الشلبية شمال دمشق، عند دوّار الميسات اليوم، وقد بقي منها ضريح منشئها فقط: الشهابي، معجم دمشق، ج٢، ص ١٨٨.

(٣) له ترجمة لدى المحبي أيضًا: خلاصة الأثر، ج١، ص٤٠٢ - ٤٠٤.

قَطَعوها ظُلْمًا وأَبْقَوْا يَتامى
فاقدي الزَّادِ ما لهم مِنْ نَوالِ

والفقيراتُ باكياتٌ بضَعْفٍ
فقدوا قوةً لجسمٍ ومالِ

ويحَ من يستبيحُ رزقَةَ محيى
وإمامٍ وطالبٍ ذي عيالِ

وكذاك المؤذِّنونَ أُصيبوا
وهُمُ الذَّاكرونَ جُنْحَ اللّيالي

دفتري له القساوةُ طَبْعٌ
مبغضٌ خائنٌ دنيٌّ الفِعالِ

أكلَ المالَ بالخيانةِ حتَّى
صارَ ذا ثروةٍ وطولِ سبالِ

ساعدوه جماعةٌ أشقياءُ
ظهروا بَغْتَةً بِزِيِّ الرِّجالِ

منهم اسكندَرُ الخبيثُ المُداجي
مَعَ بُغْضٍ أصونُ عنه مقالي

لا جزاهُمْ إلهُنا غيرَ نارٍ
تَتَلظَّى وحسرةٍ في الوَبالِ

هل لهذا المُصابِ مُبْلغُ خَيرٍ
نحو بابِ المرادِ بينَ الموالي

علَّهمْ يبلغونَ كهْفَ العطايا
منبعَ العَدلِ والندى والمعالي

ملكٌ زادَهُ الإلهُ بهاءً
ولهُ اليُمْنُ صاحبٌ والعوالي

مـا نـحـا وجـهـةً مـن الخَـيْـرِ إلا
بــادرتَــهُ مـطـيـعـةً لا تـبـالـي
نـسـألُ الـلـهَ أن يـديمَ عـلـيـنـا
مُـلْـكَـهُ دائـمًـا بـأحـسـنِ حـالِ

ولم تطل بعد ذلك مدة إسكندر حتى مات بالقسطنطينية مطعونًا، في سنة إحدى وستين وألف (١٦٥٠-١٦٥١م)، وقيل فيه:

يـقـولـونَ قَـدْ مَـاتَ إسـكـنـدرٌ، ومـا
أُصـيـبَ بـسـيـفٍ مُـسْـتَـحِـقٍّ بـسَـيْـرِهِ
فـقـلْـتُ لـهُـمْ سـهـمُ الـقَـضـاءِ أصـابَـهُ
ومـن لـم يَمُـتْ بـالـسَّـيْـفِ مـاتَ بـغَـيْـرِهِ

وقد ورد البيت الأول لدى المحبي.

وقيل في تاريخ موته:

بـشـرى لأهـل الجـوالـي
هـلاكُ مـنـشـي الـضَّـلالِ
مَـنْ طـالمـا قـد تـعـدَّى
وبـالـدُّعـا لـم يـبـالِ
وضـرَّ بـالـنَّـاس حـتـى
أتـاهُ سـهـمُ الـوبـالِ
وسـار نـحـو عـذابٍ
مـؤبـدٍ واشـتـعـالِ
أرّخ أوى في جـحـيـم
إسـكـنـدر، وانـتـقـالِ

انتهى كلام المحبي[1].

(١) المحبي، خلاصة الأثر، ج١، ص٤٠٢ - ٤٠٤.

(٣٦)

أمين بن حسن البوسنوي المدني الحنفي

أصله بوسنوي، وسيأتي، إن شاء الله، ذكر أبيه حسن بن مصطفى.

وأما المترجم فذكره صاحب «الأسانيد العلية المتصلة بالأوائل السنبلية»، وروى عنه قال: «وأخبرني بالأوائل السنبلية العلامة المعمّر أمين بن حسن البوسنوي المدني الحنفي، أخبرني والدي حسن بن مصطفى إجازة عن الشيخ عمر عبدالرسول المكي أخبرنا الشيخ العلامة المحقق طاهر سنبل المكي الحنفي قال: أخبرني بها والدي مؤلفهما، وهو محمد سعيد سنبل الشافعي المكي، المتوفي سنة خمس وسبعين ومائة وألف (١٧٦١م). ولا أدري سنة وفاة المترجم، ولا شيئًا من أحواله سوى ما ذكرت.

(٣٧)

انتظامي البوسنوي

كان في عصر السلطان أحمد الأول[١].

وكان شاعرًا مشهورًا. له منظومة تسمى «تحفة الإخوان» قسمها إلى قسمين؛ القسم الأول يتكلم فيه عن الأخلاق، وفي القسم الثاني عن السفر إلى نمسا. وفي مقدمته يقول:

حمدبى حداو يوجه سلطانه
أول كريم ورحيم ورحمانه

بردر أول برلكن ايدن انكار
أولور آخر مقام ومنزلى نار

حليه عقلى ايله ويروب تربيت
ايتدى انسانى زبده خلقت[٢]

---

(١) السلطان أحمد الأول حكم الدولة العثمانية خلال ١٠١٢ - ١٢٢٦هـ/١٦٠٣ - ١٦١٧م.

(٢) **ترجمتها إلى العربية**: لك الحمد بلا حدود يا صاحب الجلالة/ يا كريم يا رحمن يا رحيم. أنت الواحد وكل من أنكر وحدانيتك/ فالنار مقره ومقامه. ربيت الإنسان وجعلت العقل زينة/ وكرّمته على سائر المخلوقات.

(٣٨)

المولى إياس

كان هو والوزير محمود باشا والمولى عبدالكريم، الآتي ذكرهما[١]، عبيدًا لمحمد آغا من أمراء السلطان مراد خان الغازي، وقد أتى بهم من بلادهم وهم صغار، والمولى كريم والوزير محمود باشا كانا عِدْلًا، والمولى إياس لكونه أكبر منهما كان هو عِدْلًا وكان يقول لهما تلطفًا: كما كنت عدلكما على الدابة. فالآن أعدلكما في الفضيلة هذه الحكاية ذكرها صاحب «الشقائق النعمانية» في ترجمة المولى عبدالكريم، فدلت على أن ثلاثتهم من بلاد واحدة، والمعروف أن الوزير محمود باشا خرواتي الأصل، فإذن كلهم خرواتيون، وكان الأتراك يسمون أهل بلاد بوسنة وما حولها من جهة الشمال والغرب من البلاد بالخرواتيين، فلذلك ذكرنا الثلاثة في كتابنا[٢].

أما المولى إياس، فقال الطاشكبري في «الشقائق النعمانية»، في ترجمته: ومنهم – أي من علماء دولة السلطان محمد خان بن مراد– العالم العامل، والكامل الفاضل، المولى إياس. قرأ العلوم على المولى الآياثلوغي، وكان شريكًا عنده للمولى خواجه زاده، وقرأ على المولى حضر بيك، وهو مدرس بسلطانية بروسه. وكان معلمًا للسلطان محمد خان وهو صغير. ثم لحقته الجذبة الإلهية حتى وصل إلى خدمة الشيخ العارف بالله تعالى الشيخ تاج الدين، من خلفاء الشيخ عبداللطيف المقدسي، حتى أكمل طريق الصوفية، وأجازه للإرشاد. ثم إنه سكن ببلدة بروسه، وانقطع إلى الله، وصرف أوقاته إلى العلم والعبادة، إلى أن وصل إلى رحمة الله تعالى وكان له اهتمام عظيم في تصحيح الكتب، وكتابة الفوائد إلى حواشيها، وهو مشتهر بذلك، إنه كان يصحّح المختصرات والمطوّلات من الكتب المشهورة، ثم يعمد إلى نسخ أخرى منها، ويصححها كالنسخ الأُوَل. وقد وجد عنده نسخ ثلاث من كتاب واحد، صحّح كلاً منها من أوله إلى آخره وحشّاه. وحكى لي

---

(١) الأول تحت رقم ١٨٠ والثاني تحت رقم ١١١.

(٢) هناك في البوسنة من بقي يعتبر أن البشانقة «كروات مسلمون»، وهو ما تحوّل إلى صراع بين كرواتيا وصربيا حول البوسنة في القرن العشرين. للمزيد حول ذلك انظر كتابنا: الإسلام في يوغسلافيا من بلغراد إلى سراييفو، عمان (دار البشير)، ١٩٩٣م، ص١٩٦ – ١٩٨.

واحد من الأشراف وكان شيخًا عارفًا بالله، أنه حجّ مع شيخه قال: قال لي شيخي ونحن متوجهون إلى عرفات: يا ولدي، إن قطب الزمان يقوم بعرفات على يمين الإمام، فانظر كيف يعرف القطب. فنظرت فإذا هو المولى إياس. وكان في تلك السنة بمدينة بروسه، فأخبرت به شيخي فنظر فصدقني. ولما قفلنا من الحج مررنا على مدينة بروسه فاستقبلنا أهلها، فسألني واحد منهم وقال: هل رأيت القطب بعرفات؟ قلت: نعم، هو المولى إياس، الساكن ببلدتكم. ففي تلك الليلة مرضت مرضًا شديدًا حتى شارفت الموت، ثم منّ الله تعالى علي بالخلاص، ففي غد تلك الليلة ذهب شيخي إلى مولانا إياس للزيارة، وأخذني معه، ولما دخلنا على المولى إياس نظر إلي وقال: من هو؟ قال الشيخ: من أولادي. قال: أشاع سرّي، وقد تضرعت الليلة أن يقبض الله روحه، فشفع محمد صلى الله عليه وسلم، وقد علمت أنه من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أولاده. ثم قال: إفشاء السر خطر عظيم، فاحذر منه. انتهى ما ذكره الطاشكبري[1]. وهذه الحكاية هي من قبيل حكايات الصوفية المتأخرين، والله أعلم بصحتها. ولم يذكر الطاشكبري، ولا مترجم «الشقائق» مجدي، تاريخ وفاة المولى إياس.

****

(١) طاشكبري زاده، الشقائق النعمانية، ج١، ص ٢٦٤ - ٢٦٦.

حرف الباء

(٣٩)

بالي أفندي بن يوسف البوسنوي

ترجمه ابن نوعي، في «ذيله» على «الشقائق النعمانية»، ونحن نذكر ما قال مترجمًا مع تغيير يسير، فنقول:

ولد في بلدة سراي. وأخذ العلم من علماء بلاده، ثم صار معلمًا للأولاد، ولكن بواسطة الوزير الأعظم محمد باشا صوقوللي[١] دخل في جملة المدرسين، وتقلّب في عدة وظائف، وفي الأخير كان قاضيًا في بلاده بوسنة، وتوفي سنة تسعين وتسعمائة (١٥٨٢م).

وكان من مشايخ الطريقة البيرامية[٢]، مشهورًا بالعلم والصلاح.

وعُدّ من فضائله قلعه عروق الحمزويين من تلك البلاد، وذلك أن الشيخ حمزة البوسنوي، الآتي ترجمته، كان قد نشر في شمال بلاد بوسنة مذهبًا فاسدًا، وقولًا كاسدًا، وقتل بسبب ذلك سنة تسعين وتسعمائة (١٥٨٢م)، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى، ولكن بقتله لم تنطفئ نار فتنته، بل صار أتباعه ينشرون مذهبه الفاسد بعده، وكانوا يدعون أنهم أهل الطريقة والحقيقة، ولم يكن ينطوي تحت ذلك إلا نبذ الشريعة وطلب الإباحية الواسعة، فأرسل شيخ الإسلام في ذلك الزمان، سنة ست وثمانين وتسعمائة (١٥٨٠م)، المنشورات إلى القضاة يأمرهم بردّ هؤلاء الزنادقة إلى دائرة الدين بأي وجه كان. فكان المترجم أحد من وصلت إليه واحدة من تلك المنشورات، فشمّر عن ساق الجد في معاونة

(١) صوقولو محمد باشا أو محمد باشا صوقولوفيتش M.Sokolovic ولد عام ١٦٠٦م في قرية صوقول أو صوقولوفيتشي بالقرب من مدينة رودو بالبوسنة، أخذ صغيرًا إلى استانبول في إطار الدفشرمة وترقى في الهرم العثماني إلى أن أصبح صدرًا أعظم خلال ١٥٦٥ - ١٥٧٩م، حيث تمتع بسلطة قوية خلال عهود السلاطين سليمان القانوني و سليم الثاني و مراد الثالث إلى أن اغتيل آنذاك.

(٢) الطريقة البيرمية نسبة إلى الحاج بيرم ولي (توفي ودفن في أنقرة ٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩م) التي انتشرت بشكل خاص في الأناضول والبلقان.

الشيخ حسن كافي الآتي ذكره، فقتل تسعة أنفار من رؤساء الدعاة، فرجع كثير منهم عن رأيهم، وفرّق شمل الباقين وشتتهم، فشكر الناس سعيه، رحمه الله تعالى.

وختم ابن نوعي ترجمته بما معناه: ولكن إلى الآن يوجد في تلك النواحي، حول المملحتين – يعني بلدتين تسمى إحداهما بطوزله الدنيا، والأخرى بطوزله العليا[1]، وسميتا بذلك لكثرة الملح في أطرافهما، والملح يقال له طوز باللغة التركية – ملاحدة طوال القامات، قصار العقول فاسدو المذاهب.

قلت: لم يبق لهم الآن أثر، وهلكوا منذ أمدٍ بعيدٍ، ولولا التاريخ لم نعرف ذكرهم.

ومن مآثر المترجم مسجد بناه في مدينة سراي، قرب تكية سنان، في المحلة المعروفة الآن بمحلة القاضي.

(٤٠)

بالي أفندي البوسنوي

رحل وهو صغير إلى استانبول. وسلك طريق التعلم، إلى أن عُيّن سنة تسع وأربعين وألف (١٦٣٩م) مدرّسًا في مدرسة أحمد باشا، ثم سنة إحدى وخمسين (١٦٤١م) صار مفتش الحرمين، ثم تقلب في وظيفة القضاء في عدة بلاد، وكان ثلاث مرات قاضيًا في استانبول، ثم سنة ست وثمانين (١٦٧٥م) صار صَدْرَ أناطولي.

وكانت وفاته سنة خمس وتسعين وألف (١٦٨٣ – ١٦٨٤م).

(٤١)

بكر أفندي البوسنوي
المعروف بموستاري خواجه سي

ولقّب بذلك لأنه كان معلمًا لمصطفى باشا الموستاري. وكان مدرّسًا، درّس في عدة مدارس.

وتوفي سنة خمس وستين وألف (١٦٥٤م).

****

---

(١) المقصود مدينة توزلا Tuzla التي وردت الإشارة إليها.

حرف التاء

(٤٢)

توكلي دده

ولد في بلدة سراي.

وأخذ العلم عن علماء بلاده، ثم لازم شيخ الطريقة المولوية المشتهر بعتيق زاده، فأجازه للإرشاد، فبعد موت شيخه قام هو مقامه، ودرّس لمريديه سنين عديدة كتاب جلال الدين الرومي المسمى بـ «المثنوي».

وتوفي في بلدة سراي. ودفن قريبًا من جامع السلطان محمد.

وكان صوفيًا شاعرًا، في اللغتين الفارسية والتركية، وأشعاره كأشعار أهل العشق من العارفين، على ما قاله غالب دده، في كتابه «تذكرة شعراي مولوية».

وتوكلي دده مخلصه، ولا ندري اسمه، ولا سنة وفاته، وغالب الظن أنه كان في النصف الأول من القرن الحادي عشر، لأن تلميذه دبره لي وجدي الشاعر المشهور، توفي سنة ثمانين وألف (١٦٧٥م)، وأورد غالب دده من شعره هذين البيتين الفارسيين:

همجو غواصان ازيراى كوهرى

زحمت درياى مردم خوارمى بايد كشيد

جوهرنا أهل ونا هموار بهر او كشم

بهريك كل زحمت صد خارمي بايد كشيد[1]

****

(١) **ترجمتها إلى العربية:** كان مفلسًا مِنْ أَجْلِ الجَوْهَرِ كالغواصينَ/ كان يُحبُّ تحمُّلَ مشقَّةِ البحرِ آكلِ النَّاسِ . أحملُ إليه جوهرًا خسيسًا متواضعًا/ فكانَ عليه أن يتحمَّلَ مشقَّةَ مائةِ شوكةٍ من أجل كلِّ وردة.

حرف الثاء

(٤٣)

ثابت علاء الدين البوسنوي

ولد في بلدة أژيجه.

وأخذ بعض العلوم في بلاده، ثم ذهب إلى استانبول، وانتسب إلى سيدي زاده محمد باشا، واستمر في طريق التعليم إلى أن نال منه مراده.

ثم تقلّب في وظائف القضاء في بلاد عديدة، ثم أعطيت له مولوية بوسنة، وبعد ذلك مولوية قونية وديار بكر.

وأدركته المنية في ديار بكر، سنة أربع وعشرين ومائة وألف (١٧١٢م)، ونظم بعض أصدقائه تاريخًا لوفاته، فقال:

فخر أفراد موليء عظام
بوسنوي ثابت أفندي ذو العلا
الحق أو المشيدى علاوه فضلنه
شعر وانشاده أكاحسن ادا
زائران قبري دير تار يخنى
عدن زيبا اوله جايك ثانيا(١)

وكان، رحمه الله تعالى، شاعرًا مفْلقًا، مالكًا لأزمّة الشعر والنثر باللغة التركية، مخترعًا لطريق النظم، مبتدعًا لأسلوب الشعر، غير مقلّد من سبقه من شعراء الترك، منهمكًا في استعمال المجازات والاستعارات وضروب الأمثال، كل ذلك في نظم لطيف،

(١) **ترجمتها إلى العربية:** هو ثابتُ أفندي البوسنويُّ عالي الشأنِ فخرُ الموالي العظام . أضافَ الله إلى فَضْلِهِ حُسْنَ الأداءِ في الشِّعْرِ والإنشاد . من زار قَبْرَهُ يقولُ تاريخ (وفاته): عدن زيبا وله جايك ثانيًا.

بعبارة سلسة تعجب القارئين، وتسحر السامعين، له «ديوانان» تضمنا شعره النفيس، ونظمه اللطيف، وله منظومة في غاية الإجادة، سماها «ظفر نامه» يصف فيها حرب المسلمين مع الكفار، وله أيضًا منظومة تسمى «أدهم هما»، وأخرى تسمى «بربرنامه»، وأخرى تسمى «دره نامه»، وأخرى تسمى «المعراجية»، وأخرى تسمى «عمر وليث». قال سالمٌ في «تذكرته» ما معناه: إنه لم يتم منظومته «أدهم هما»، وكان بناها على طرز المنظومة المعروفة بـ «خمسة». قال: والحق أنه لو أتمها لترك جميع أهل المعرفة حيارى مندهشين، وكان ألقى «خمسة عطائي» في زاوية الإهمال والنسيان. وبالجملة كان في أسلوب الشعر منفردًا، لم يدرك غيره من أهل زمنه شأوه فيه، رحمه الله تعالى.

ولنورد شيئًا من مستجاد شعره، على سبيل التمثيل، قال في «معراجيته»، مبتدئًا:

خوشا فرخنده اختر ليلة ممتاز ومستثنا

كه عنوان برات قدريدر سر سورة اسرا

شفق روى عروس مهره بركلكونه طوق آصدى

كوكب صاجى وبردى بى نهايت كوهريكتا

دكل جرم قمر برجوش أولوب بحر سياه شام

بر آلتون بوللى ماهى طشره آتدى موجه دريا

زمانه كيدى نارنجى قباى زرنكارا وزره

جواهرد وكمه لرله برجيجكلى عنبرين خارا

سيرجى جيقدى كوك ميداننه شامك تماشايه

رسن قوردى شهاب ريسمانبارز فلك بيما[١]

---

(١) **ترجمتها إلى العربية:**

كَمْ هُوَ جَميلٌ أن يَصْعَدَ النَّجْمُ المُباركُ في الليلةِ الغراءِ/ وذلك هو محمدٌ صلى الله عليه وسلم براءَةُ القَدَرِ ورأسُ سورةِ الإسراءِ.

أصبحَ وَجْهُ الشَّفَقِ طَوْقًا ورديًّا للعروسِ/ وازْدَانَتْ رأسُ الفَلَكِ بجَوْهَرَةٍ يَتيمةٍ نادرة

ولا جَرَمَ أن اهتزَّ القَمَرُ طَرَبًا في بحرِ الظُّلماتِ/ وألقَتْ موجةُ البَحْرِ قمرًا ذهبًا

فارتدى الزمانُ عباءةً نارَنْجيَّةَ اللونِ مُزَرْكَشَةً بالذَّهبِ/ والطريقُ مفعمٌ بزهورٍ غبريةِ الرائحة

عرَّجَ الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم إلى السَّماءِ مُتَفَرِّجًا/ فقادَ الشهابُ الفلكَ الدَّوار.

ومنها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

أمـــين رب عــزت خـــازن كـنـجـيـنـه رحـمـت

دلـيـل راه دولـــت رهـنـمـاى جـنـت المـــاوى

رســول قـــادر مـطـلـق شـفـيـع اقـــدام وسـبـق

حبيب حضرت حق محرم اسـرار ما اوحـى

إمـام صـاحـب الـكـوثـر خطيب لا مكان منبر

أمـــان دهـشـت مـحـشـر ضـمـان رحـمـت مـولا

نـبـي مـحـتـرم أحـمـد رسـول أفـضـل وأمـجـد

حـبـيـب حـق مـحـمـد تـــاجـــدارا فـسـر طـه

أو شـهـنـشـاه فـرمـان ران أورنـــك رسـالـتـكـم

نـكـين حـكـمـيـك آلـتـنـده در دنـيـا ومـــا فـيـها

سمند قدرينـه أفـلاك آلـتـون بوللى يانجقدر

قـطـا سـيـدراو نجـم طـره داراســمـــان بـيـرا

سـرشـت ذات بـاكـى طـين مـخـتـوم نـبـوتـدر

نـشـانـيـدر مـبـارك آرقـــه سـنـده خـــاتم زيـبـا

باخود برحجت ظهرية مقبوله دراو لكم اكا

قاضئ قدسي قدرت أورمـش ختمله امضا[1]

---

(١) **ترجمتها إلى العربية:**

أنت أمينُ ربِّ العزَّةِ وخازِنُ كنزِ رحمتِه/ أنت الطريقُ وأنت الدَّليلُ إلى جنَّةِ المأوى
أنت رسولُ الله القادرِ المطلقِ وأنت الشَّفيعُ بلا سابقٍ/ أنت حبيبُ الحضرةِ ومحرِّمُ أسوارِ ما أوحى
أنت الإمامُ صاحبُ الكوثرِ وأنت الخطيبُ بلا منبرٍ/ أنت الأمانُ من فزعِ يومِ الحشرِ وأنت الضامنُ لرحمةِ المولى
أنت النَّبيُّ المحترمُ أحمدُ الرَّسولُ الأفضلُ الأمجدُ/ أنت حبيبُ الله محمَّدٌ وصاحبُ تاجِ سورةِ طه
أمرَ ملكُ الملوكِ أن تكونَ رسالتُك/ خاتمَ الرسالاتِ تحْتَ حكمِهِ في الدُّنيا وما فيها
أنت الأفلاكُ جيوشٌ ذهبيةٌ لخيلِ قدرتكَ/ أنتَ ذاكَ النَّجْمُ في ذو الطُّرَّةِ في سماءِ القدرة
أن ذاتَكَ الطاهرةَ مختومةٌ بخاتمِ النّبوَّة/ في ظهرِكَ علامتُها المُباركة
أو هي حجَّةٌ ظهريَّةٌ مقبولةٌ تقولُ: بقدرةِ قادرٍ قدسيٍّ هو الختام.

ومنها في بدء قصة المعراج:

حـبيـب كـبريـانـك مـعـجـزاتـن عـدنـه ممكـندر

نـدكـلـو خـامـه مـعـجـز بـيـانم ايـلـسـه اطـرا

جـيـقـوب كـرسـي والاي بـيـانـه راوئ فكـرت

بر آز معراجنك تفصيلن ايتسون شمدى اجمالا

حــريم كـعـبـه عـلـيـا ده دولـتـلـه سـعـادتـلـه

سـراي امهاني ايـدي أول شب حضرته مثوا

كـلـوب نـاكـه بـر يـد رب عـزت حـضـرت جـبريـل

ديـدي أي بـاعـث ايـجـاد صـنـع جـمـلـه أشـيـاء

سـلام ايـتـدي جـنـاب كـبريـا تـوقـيـر وعـزتـلـه

سكابر رخـش رضـوانـي جـراكـاه ايـلـدي عطا

بنوب كلسون حبيبم عالم لاهوتي سيرايتسون

قدومندن شرف بولسون فضاي عالم كبرا[١]

ومنها في الابتهال إلى الله تعالى وطلب المغفرة:

خــدا ونــدا شـفـيـع المذنـبـيـنـا مـرحـمـت ايـلـه

سـيـه رو تـرقـو لـكـدر ثـابـت آشـفـتـه وشـيـدا

أسـيـرجـاه جـرمـم غـوطـه كـاربـحـر عصيـانـدر

يـد طـولاي لـطـفـك قـيـل فـقـيـرة عـروة الـوثـقـى

(١) **ترجمتها إلى العربية :**

إنَّ حصرَ معجزاتِ الحبيبِ ضَرْبٌ من المُحَال/ مهما حاولتُ في البيانِ والإطراءِ فإنِّي عاجز
صعدَ الرَّاوي إلى الكرسيِّ وبدأ البيانَ/ ليفصّلَ قليلًا في المعراجِ بعد أن قالَهُ إجمالا
في حرمِ الكعبةِ السعادةُ والدولةُ/ وكان الرسولُ صلى الله عليه وسلم نائمًا آنذاك في بيتِ أم هانئ
وجاء جبريلُ رسولُ ربِّ العزَّةِ وقالَ/ يا باعثَ الوجودِ وصانعَ كلِّ شيء
فسلَّم عليه صاحبُ الجلالِ والعزةِ وأعطاهُ حصانًا رِضوانيًّا/ وقال له: هاكَ الجوادَ ليمتطيَهُ حبيبي
ثمَّ يأتي ويتفرَّجُ على العالمِ الإلهيِّ/ وليشرّفَ بقدومِه عالمَ الفضاءِ العظيم.

فقير كدر قولكدر حالنه رحم ايله سلطانم
خطاياي نهانن كائناته ايلمه افشا
عيوبن كوشه دامان احسانكله سترايله
قيامت عرصه سنده درد مندك أولمسون رسوا[(١)]

إلخ.

وله من منظومته المسماة بـ «ظفر نامه»، يصف وعظ الإمام لجنود المسلمين، وحضّهم على القتال:

جهاد آيتن نقل وتفسير ايدوب
غزا فضلني خلقه تقرير ايدوب
ديدي قوج يكتلركه هب طوغديلر
بود نيايه قربان ايجون كلديلر
به دنياي فاني نه دولت كرك
غزايا شهادت كرك
قني بر بوكونكي كبي يوم عيد
أولورسه ك شهيدا ولد يررسه ك سعيد
مراد آله جق قوتلي كوندر بوكون
دليرانه بيرام دوكوندر بوكون
قالان غازي بهنام وكام نكو
شهيده تماشاي ديدار هو

---

(١) ترجمتها إلى العربية:
الرَّحمةُ يا إلهي يا سامعَ نداءِ شفيعِ المذنبين/ أنا عبدُكَ ثابتٌ قد فُتِنْتُ واضطربَ فؤادي وسالَ دمعي من وجهي الأسود
أنا أسيرُ أرضُ الآثام وغريقُ بحرِ العصيانِ/ فَمُدَّ لي يَدَ لطفكَ بالعُرْوَةِ الوثقى
يا سلطاني ارحمني فَأَنا عبدُكَ الفقيرُ إليك/ فلا تكشفْ ما خَفِيَ من ذنوبي على الناس
واستُرْ بفضلِكَ ما خَفِيَ من العيوبِ/ لا تخذِلْني يومَ العرضِ فكُلِّي أملٌ.

قـــوبـــوب خـــلـــقـــدن بـــرغـــريـــوانـــين

كـــه صـــار صـــلـــدي نـــه طـــاغ جـــرخ زمـــين

ايـــدوب سنكي يـاقـوت سـرخ اشـكـي خـون

أولـــوب أرض غـبـر اشـقـايـق نمـــون[1]

****

(١) ترجمتها إلى العربية:

تلا عليهم آياتِ الجهادِ وفسَّرها/ ووضَّح للنَّاسِ فَضْلَ الفَتْحِ

وقال إنَّ الشُّجعانَ هم مَنْ وُلِدُوا/ وإقناعُهُم أنَّهم جاءوا ليكونوا قربانًا

لا الدولةُ الفانيةُ/ ولا الدولةُ لازِمَةٌ

بل الشَّهادةُ والغَزْوُ سيكونُ يومَ عيدٍ لو نِلْتَ الشهادةَ/ وستكونُ سعيدًا لو أبليْتَ وقتلْتَ العَدوَّ

اليومَ سينالُ الشَّخصُ القَوِيُّ مرادَه/ اليومَ يومُ عُرْسٍ للأبطال

الفاتحُ الذي كُتِبَتْ له الحياةُ نالَ الشُّهرةَ/ والشهيدُ ينالُ رؤيةَ وجهِ صاحبِ الجلالةِ

ارتفعَتْ صَرْخَاتُ النَّاسِ/ وكأنَّ الأرضَ قد زُلْزِلَتْ زلزالُها

وذرفَتْ العيونُ دمعًا كأنَّه حجَرُ الياقوتِ/ ونزلَ على الأرضِ فإذا بها تُنْبِتُ الشَّقائق

وقد اهتم الخانجي بعد عودته إلى سراييفو بهذه الشخصية وكتب عنها دراسة موسعة تركز على «المعراجية»:
Handzic, Izabrana djela I, pp.650 - 725.

حرف الجيم

(٤٤)

جعفر عياني بك تذكرة جي

هو بجويٌّ، وذكر دكتور قاراجون المجري المستشرق في مجموعته «تورك درنكي»، أن المترجم جد إبراهيم البجوي، المؤرخ السابق ذكره.

والمترجم له تآليف، منها «غزواتترياكي حسن باشا»، ألّفه سنة ألف. و«نور نامه»، في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذه من «مشكاة الأنوار»، و«تاريخ جديد لنكروس»، وله «نصايح الملوك»، و«زبدة النصايح وعمدة التواريخ»، رتبه على أربعة أبواب، ومنه نسخة في الكتبخانه المرادية، في مغنيسا، وقد ألّفه سنة ثلاث وألف (١٥٩٤-١٥٩٥م).

ولا أدري تاريخ وفاته.

(٤٥)

چشمي أفندي البلغرادي

ذكره كاتب جلبي، في «فذلكته».

وچشمي، بالجيم الفارسية مخلصه، ولا أدري اسمه. كان من القضاة، تقلّد القضاء في حلب وبروسه وأدرنه واستانبول، ثم كان قاضي عسكر أناطولي، ثم قاضي عسكر الروم.

وكانت وفاته سنة أربع وأربعين وألف (١٦٣٤م).

****

حرف الحاء المهملة

(٤٦)

حامد أفندي بياضي زاده
ابن أحمد أفندي السابق ذكره

كان من المدرّسين، وكان سنة تسع وعشرين ومائة وألف (١٧١٦–١٧١٧م) قاضيًا بمصر.

وتوفي باستانبول، سنة ثلاث وثلاثين ومائة ألف (١٧٢٠–١٧٢١م).

(٤٧)

حبيب أفندي البوسنوي
المعروف بخسرو باشا إمامي

وإنما عرف بذلك لأنه كان إمامًا للوزير الأعظم خسرو باشا البوسنوي(١).

وكان تقلّد التدريس في عدة مدارس، ثم أعطيت له مولوية بوسنة.

وتوفي سنة سبع وأربعين وألف (١٦٣٧م).

(٤٨)

حبيب دده البوسنوي
المتخلّص بـ حبيبي

كان من المنتسبين للطريقة المولوية.

وكان شاعرًا، وأكثر شعره على وزن «المثنوي».

---

(١) تولى الصدارة العظمى خلال ١٠٣٨ - ١٠٤١هـ بعد استيلاء الشاه عباس الصفوي على بغداد وأحرز سمعة عسكرية بانتصاراته في عدة مواقع على الصفويين: الميرلاي إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت (دار الفكر الحديث) ١٩٨٨، ص ١٤٣ - ١٤٥.

ذكره صفائي، في «تذكرته»، وقال عنه ما معناه: شعره والألفاظ الغريبة التي يستعملها فيه مخصوصة به. له «ديوان» عجيب العنوان، مشهورٌ بين ظرفاء الزمان.

ثم ذكر بعضًا من أبياته الغريبة التي ينطبق عليها المثل «معنى الشعر في بطن الشاعر»، على أن له أبياتًا حسنة أيضًا.

وكان استقر في مدينة بلغراد، مشتغلًا بتدريس كتاب «المثنوي» لجلال الدين الرومي.

وأدركته الوفاة في المدينة المذكورة، سنة ثلاث وخمسين وألف (١٦٤٣م). وقيل: سنة خمسين (١٦٤٠م). وله من التآليف منظومة تسمى «المثنوي الصغير».

(٤٩)

حبيبة بنت علي باشا

ولدت سنة اثنتين وستين ومائتين وألف (١٨٤٥-١٨٤٦م)، وكان أبوها والي بلاد هرسك وبعد موت أبيها هاجرت مع العائلة إلى أناطولي، وتزوجت هناك.

وتوفيت في استانبول، سنة ثمان وثلاثمائة وألف (١٨٩٠-١٨٩١م).

وذكرتها زينب فواز، في كتابها «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور»، فقال: حبيبة هانم بنت علي باشا الهرسكي، من أديبات الآستانة، وشاعرات هذا العصر، وهي نادرة زمانها، حازت من الفصاحة والآداب الجزء الأعظم، ولها أشعار رائقة ومعان فائقة، ومن بديع شعرها ما وجدته في كتاب «مشاهير النساء»، لمحمد أفندي ذهني، باللغة الفرنسية، فأدرجته بحروفه:

جكرده تيغ غمزه ك زخمي واركن آثمه ييكانك

يتراي قاضي ياي آرتق يتر ديرتمه مزكانك

نكاه مسنكه جانا كه شايان كوردك أغيارى

ينه نويارى لرآجدي درونه تيغ هجرانك

أو غافل بى خبر نادان عدويه همدم أو لمشسين

وصالكدن بزي دورا يلدك وار اولسون إحسانك

أميد مرحمت قيلمق عبثدر سندن أي كافر

سنى بي دين ديمشلردي ازلدن بوقدر إيمانك

حبيبه بى داوادرد دن خلاص او لمقده مشكلدر

أميدا يتمز اسير درد أولا نلرغيري درمانك[١]

انتهت عبارة «الدر المنثور»[٢].

قلت: لها «ديوان» شعر مرتب[٣].

(٥٠)

الشيخ حسن كافي الأقحصاري

هو حسن بن طورخان بن داود بن يعقوب الأقحصاري، المشهور بـ «كافي»، العالم الجليل، والفاضل النبيل، البصير بمسائل الفقه، المتضلّع في أصوله، النحوي الصرفي، الراسخ القدم في علم أصول الدين، الأديب، الشاعر، المصلح الماهر، وبالجملة فهو فخر تلك البلاد، ورئيس علمائها الأطواد، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

ولد في بلدة أقحصار، وأهل تلك البلاد يسمونها بـ «ابروساج»، وكانت ولادته سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (١٥٤٤م).

(١) ترجمتها إلى العربية:
لا ترسِلْ بلحظِكَ فما زالَ قلبي مجروحًا بسيفِ غَمْزَاتِكَ/ كفى أيها الحاجِبُ كفى سهامُك فلا تَدْفَعْ بالرموشِ سهامًا
يا حبيبي يا ذا النظراتِ الناعسةِ كيفَ أطعْتَ الرقباءَ/ إنَّ ذلك جدَّدَ الجروحُ وأغمَدَ سيفَ هجرانك
ألا تدري أيُّها الغافلُ أنَّكَ أصبَحْتَ صديقًا للعدوِّ والجاهلِ/ ها أنت قد حرَمْتَنا مِنْ وِصَالك فلا أقلَّ من أن يصلنا إحسانُك
منَ العَبَثِ أَنْ نَأْمَلَ الرَّحمةَ منك أيُّها الكافرُ/ كانوا قَدْ قالوا عنك: لا دينَ ولا إيمانَ عندك
إنَّ الخلاصَ من الحبيبِ كالعلاجِ من داءِ الأدواءِ هو أمرُ صَعْبٌ/ ولا أَمَلَ لِمَنْ هُمْ أسرى الألمِ سوى في الدواءِ
(٢) زينب فواز، الدر المنثور في تراجم ربات الخدور، القاهرة، ١٣١٢هـ، ص ١٦٢.
(٣) اهتم الباحث فهيم ناميتاك لاحقًا بهذه الشاعرة ونشر دراسة عنها وعن هذا الديوان المخطوط :
Fehim Nametak, Rukopsna zbirka Habibe Mehmedbasic iz Stoca, Anali GHB 11 - 12, Sarajevo 1985, pp.181 - 200.

وسلك طريق التعلم حتى نال من العلم الحظ الأوفر، ورزق من جيّد الفهم النصيب الأكبر.

وتقلّد مرات وظيفة القضاء في مختلف البلدان، فحملها على عدل كامل، وزهد وافر، إلى أن صار قاضيًا في بلد ولادته، ودام على ذلك إلى أن طوى سجل عمره في الليلة الخامسة عشرة من شعبان سنة خمس وعشرين وألف (١٦١٦م).

وترجم نفسه في كتابه «نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء»، في الفصل التاسع والعشرين فقال: هذا العبدالضعيف الفقير إلى ربّه الباري، حسن بن طورخان بن داود ابن يعقوب الذيبي الأقحصاري، القاضي بأقحصار، عفا عنه وعنهم الملك الغفار.

حكى والدي، تغمده الله بغفرانه، وبعض الثقات من أقرانه، أن جدي المرقوم، يعقوب المرحوم، قد عاش مائتين وسبعًا وعشرين سنة - هكذا في نسختي الخطية.

وذكر المؤرخ صالح أفندي الموقت، في «تاريخ ديار بوسنة»، أنه عاش مائة وعشرين سنة. ولعل هذا هو الصواب، وذاك غلط من النساخ - وكان مولده في جانب إسكندرية الرومية[1]، ثم ارتحل إلى قرية ذيب، ووقووو، بناحية أقحصار وهو نصراني، ثم هداه العزيز الغفار، فأسلم عند مجيء أبي الفتح السلطان محمد خان لفتح ديار أقحصار، وعاش في الإسلام إلى أوائل سلطنة السلطان سليمان خان، عليه الرحمة والغفران. وإن جدي داود المرحوم قد عاش إلى سبعين سنة وشهد غزوات، ثم استشهد عند محاصرة القلعة المعروفة بـ «بورانه»، من قلاع خروات[2]. وعاش والدي، رحمه الله بالقناعة والصلاح ستًا وتسعين سنة، ثم توفي بأقحصار، في المحرم سنة أربع وتسعين وتسعمائة (١٥٨٥م) عفا عنهم العفو الغفار.

وسمعت من والدتي المرحومة، أن هذا العبدالضعيف، ولد بأمر الله اللطيف، يوم الجمعة بعد العصر، في رمضان، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة (١٥٤٤م)، في زمان السلطان العادل، السلطان سليمان خان بن السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان بن السلطان أبي الفتح محمد خان، عليهم رحمة ربّهم الرحمن.

---

(١) المقصود مدينة شكودرا Shkodra الألبانية، التي تطل على بحيرة شكودرا التي تفصل بين ألبانيا والجبل الأسود.

(٢) المقصود فرانا Vrana الكرواتية التي تطل على بحيرة فرانا القريبة من البحر الأدرياتيكي. كان لها شأنٌ في العصر الوسيط (ق ١١ - ١٦م) وتمكن العثمانيون من فتحها في ١٥٣٧م.

ثم أخذت في تحصيل العلم، وأنا ابن اثنتي عشرة سنة، ولما تيسر لي تحصيل مبادئ العلوم في بلادنا، ارتحلت إلى دار السعادة قسطنطينية المحمية، في أوائل سلطنة السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان، عليهما الرحمة والغفران، وأخذت من المشايخ والعلماء، واشتغلت عند كثير من الفضلاء، حتى انتسبت إلى خدمة الشيخ الفاضل الكامل، والعالم الأستاذ العامل، معيد الإمام كمال باشا زاده المتقاعد بالتدريس في بلدة جنالجه، تغمده الله برحمته، وصرت متلمذًا من حضرته العزيزة متلذذًا بصحبته اللذيذة، مقتبسًا من أنوار أنفاسه الشريفة، مغترفًا من بحار أبحاثه اللطيفة، فأخذت ما أخذت من حضرته، ووجدت ما وجدت من خدمته، عوّضه الله بجنته، ثم من أساتيذي الكبار ومشايخي ذوي القدر والاحترام، صدر الفحول، بدر الفضلاء في المعقول والمنقول، الإمام العلامة في التفسير والأصول، قاضي العسكر المظفر بروم إيلي بعد طول، الأستاذ الأعلم، المعروف بالعجم، والمشهور بملا أحمد الأنصاري، سلمه الخالق الباري، والشيخ الفاضل العلامة في مشكلات الأحاديث والآي، القاضي والمفتي بمحروسة سراي، قدوة مشايخ الأعالي، عمدة أفاضل الموالي، أبوالمعالي مولانا بالي بن يوسف، الشهير بمعلم الوزير الأكبر. ثم آخر من تلمذت من حضرته، وتشرفت بشرف صحبته، قدوة مشايخ الحرمين، عمدة أئمة المقامين المحترمين، أستاذ سلطان الهند، جلال الدين الأكبر، والقاضي بعسكره المظفر، الشيخ الأنور، مير غضنفر بن الحسين، المتقاعد بالمدينة المنورة، وحشرني الله وإياهم في زمرة الكرام البررة، مع العشرة المبشرة.

ولما منحني الله بعضًا من الفنون، ونبذًا من العلوم، رجعت إلى بلدنا أقحصار المرقوم، سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة (١٥٧٥م)، فمنّ الله تعالى علي بعقد مجلس الدرس به لطلبته، حتى شرعت بعناية مجيب الدعوات، في بعض التأليفات، فأول ما كتبته «رسالة في تحقيق لفظ جلبي»، ثم ألّفت «مختصر الكافي من المنطق»، سنة ثمان وثمانين وتسعمائة (١٥٨٠م)، ثم ابتليت بقضاء أقحصار سنة إحدى وتسعين وتسعمائة (١٥٨٣م). وشرحت ذلك «المختصر» إلى آخر التصورات، وألّفت كتاب «حديقة الصلاة»، التي هي رأس العبادات، في شرح «مختصر الصلاة»، للإمام كمال باشا زاده، سنة ست وتسعين وتسعمائة (١٥٨٧م).

ثم ارتحلت إلى دار السلطنة، فابتليت بالقضاء في ولاية سره م[١]، ففي أثناء الدرس والقضاء واشتغال بعض التآليف والإملاء، شرعت في تصنيف كتاب «سمت الوصول، إلى علم الأصول»، وعند ذلك شرفني الله بشرف الحج الشريف، في السنة السنية التي هي رأس ألف من الهجرة النبوية (١٥٩٢م)، فبعناية الله تعالى أتممته في ذلك السفر المبارك، فعرضته على علماء القدس والشام الشريف، ثم على فضلاء مشايخ الحرمين المحترمين، خصوصًا على شيخنا وأستاذنا الشيخ الأنور مير غضنفر، أعزه الله العزيز الأكبر، فبعد قبولهم بالاستحسان، أكرموني بمزيد الإحسان، أكرمهم الله الملك المنان، يوم الحساب والميزان، ثم لما رجعت إلى دار السلطنة عرضته على أكابر أفاضل الروم، الفائقين في جميع الفنون والعلوم، أعزّهم الله الحي القيوم، فبعد القبول والاستحسان، واستشارتي في الإظهار والإعلان، أشاروا علي بأن أشرحه إن ساعدني الزمان. وفي أثناء هذا الاختيار، ابتليت بالقضاء في بعض البلاد والديار، بجوار أقحصار، سنة إحدى وألف (١٥٩٢-١٥٩٣م).

ولما ظهرت فتنة الأردل والقرال[٢]، وآل الأمر إلى المحاربة والجدال، وبدأ البغي والفساد من العمال، تركت القضاء والتجأت بوطني أقحصار، وعقدت مجلس الدرس لطلبة الديار، ودرستهم بعون الله العليم الستار، من الفروع والأصول، والمعقول والمنقول، وشرحت كتابنا «سمت الوصول»، سنة أربع وألف (١٥٩٥-١٥٩٦م)، وألّفت فيها أيضًا كتاب «أصول الحكم في نظام العالم».

وفي أواخر هذه السنة السنية، خرج سلطاننا المظفر المنصور، للغزوة المعروفة بغزوة أكرى ومحاربة التابور[٣]، ألا وهو سلطان الحرمين المحترمين، وخاقان البرين

---

(١) المقصود منطقة سريم Srem أو Syrmia القديمة التي تمتد الآن ما بين شمال شرقي كرواتيا و شمال غربي صربيا.

(٢) في السنة المذكورة (١٠٠١هـ/١٥٩٣م) تجددت الحرب بين الدولة العثمانية والنمسا حول المجر، وفوجىء العثمانيون بانحياز حليفهم حاكم ترانسلفانيا (الأردل) إلى جانب النمسا مما أدى إلى إلحاق بعض الهزائم بالعثمانيين. للمزيد: خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، ترجمة محمد م.الأرناؤوط، بيروت (دار المدار الإسلامي) ٢٠٠٢، ص ٦٩.

(٣) بعد تعرض العثمانيين لعدة هزائم أمام النمسا وحلفائها في أواخر عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) بدأ السلطان الجديد محمد الثالث عهده بقيادة الجيوش لقتال النمسا و حاكم ترانسلفانيا/ الأردل ستيفان باتور، الذي يبدو أن اسمه تحور هنا إلى تابور. للمزيد: اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٦٩.

والبحرين، مالك رقاب ملوك الأمم، سلطان سلاطين الروم والعرب والعجم، رافع رايات العدل والإنصاف، قامع آيات الجور والاعتساف، أعنة عنايته نحو رعاية العلم والعلماء معطوفة، وهمّة حمايته إلى تجديد مباني الشرع الشريف مصروفة، المنصور من السماء بعون الله الملك الشكور، المظفر على الأعداء في محاربة التابور، السلطان العثماني، أبوالفتح الثاني، السلطان الغازي محمد خان بن السلطان مراد خان بن السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان، أعانه الله وصانه في جميع الأزمان، كما نصره وأعانه في ذلك الزمان، فخرجنا للغزاء معه من أقحصار يوم السبت الرابع من المحرم الحرام، لسنة خمس وألف (١٥٩٦م)، ولحقنا بمعسكره المظفر تحت القلعة بعد المحاصرة يوم السبت، الثالث من صفر المظفر، للسنة المزبورة، ثم بعناية وقدرته، وبمجاهدة سلطاننا وعلو همته، فتحت القلعة يوم السبت التاسع عشر من ذلك الشهر، ثم وقعت المحاربة والمقاتلة بعساكر الكفرة، لسبعة ملوك من الفجرة، فإذا جاء نصر الله والفتح من القادر القهار، انهزم الأحزاب وقتل الكفار، يوم السبت الرابع من ربيع الأول، فوقع خروجنا للغزاء يوم السبت، ولحوقنا بالمعسكر يوم السبت، وفتح القلعة يوم السبت، وانهزام الكفار يوم السبت، ورجوعنا من المنزل الثاني يوم السبت، ودخولنا سالمين غانمين بأقحصار يوم السبت، وذلك بيمن قول خير البشر: «بارك الله السبت والخميس» في حق السفر، والحمد لله على ما شهدنا هذه الغزوة الكبرى، وحضرنا في تلك المقاتلة والوقعة العظمى، ثم في هذا السفر المبارك المظفر، عرضت رسالتنا في «نظام العالم» على وكلاء سلطاننا الأعظم، من الوزراء وأكابر العلماء، فبعين عنايتهم إلى ملاحظته مالوا، وبإجماع آرائهم قالوا: إن الأولى أن يفسّر بالتركية للعرض على السلطان، وليسهل الاستفادة لأهل الديوان. ثم ألزموا على هذا الفقير قليل المقدار، القضاء بأقحصار، فلأمرهم الشريف امتثلت، وعلى شرحه بما أمرت عزمت، فبعدما شرحته بأوضح العبارات، وأصحّ الاعتبارات، في رجب المرجب لسنة خمس وألف (١٥٩٧م)، تركت القضاء، وعزمت إلى دار السلطنة قسطنطينية المحمية، حماها الله في ظل واليها عن البلية، وحفها بالبركات السنية، والميامن البهية، فإذا لاحظه من بيده العقد والحل، أعزه الله عز وجل، عرضه مع بعض مؤلفاتي على الحضرة العلية، وأرسله إلى السدة السنية، ما زالت مرجعًا لطوائف الأنام، وملجأ للعلماء الأعلام، فلما لمعت لمحة من تقليب حدقته الكريمة على تلك الأوراق، أرجو أن تكون

محرراتي نور الحدائق ونور الأحداق، وإذا لمحت لحظة من عين عنايته العميمة بتعقيب شيء من الالتفات آمل أن تصير مؤلفاتي ثقة للأعيان وعينًا للثقات، وذلك لما أنه – خلّد الله ملكه وأبدّ دولته – أعطاني قضاء أقحصار، بخطه الشريف المبارك جليل الاعتبار، على طريق التأييد والتقاعد بشرط التدريس لطلبة الديار، وأغناني بصلة صدقته بمقدار، عوّضه الله دار القرار، بجوار حبيبه المختار، جعل الله ظلال عدالة السلطان والوزير ظليلًا على بسيط الغبراء، برعاية العلماء والصلحاء ما دار الفلك الدوار، وزلال سخاوتهما سبيلاً للفقراء والضعفاء مدى الأيام والأعصار، فبيمن دولتهما جمعت هذه «الرسالة» الشريفة، والمجلة اللطيفة، في أواخر سنة ثمان وألف (١٦٠٠م)، ثم شرعت بعون الله قاضي الحاجات، في تبييض بعض المسودات، وهو كتاب «تمحيص التخليص» في علم البلاغة، وكتاب «روضات الجنات، في أصول الاعتقادات» من علم الكلام.

وأسأل الله تعالى الهداية إلى سبيل الصواب في التكميل والإتمام، والعناية في إنجاح المرام بالسداد والإحكام ا. هـ كلامه في «نظام العلماء».

وبالجملة ففضائله غزيرة، ومآثره كثيرة، لا يأتي بشيء منها سن القلم وطرف البنان، ولا بيان اللسان ولسان البيان؛ فمنها تآليفه الجميلة، وتصانيفه الحسنة، ونثبت منها هاهنا ما اطلعنا على اسمه، وهي:

«شرح مختصر القدوري»، أربعة مجلدات. ذكره ابن نوعي، في «ذيل الشقائق»، وكاتب جلبي، صاحب «كشف الظنون»، وفي كتابه المسمى بـ «فذلكة».

«سمت الأصول إلى علم الأصول»، سبق ذكره، وذكره كاتب جلبي، في «كشف الظنون» في مواضع، قال عند ذكر «منار الأنوار» للنسفي: هو متن متين جامع مختصر نافع، وهو في ما بين كتبه المبسوطة ومختصراته المضبوطة أكثرها تداولًا، وأقربها تناولًا، ولكنه مع صغر حجمه، ووجازة نظمه، بحر محيط بدرر الحقائق، وكنزٌ أودع فيه نقود الدقائق، ومع هذا لا يخلو من نوع التعقيد، والحشو والتطويل، فحرّره الكافي الأقحصاري في مختصره الموسوم بـ «سمت الوصول»، وأحسن تحريره، ورتبه على أبلغ نظام وترتيب، بزيادة التوضيح والتنقيح ا. هـ وكفى بهذا شهادة.

«شرح سمت الوصول» سبق ذكره.

«روضات الجنات، في أصول الاعتقادات»، سبق أيضًا، وهو مطبوع في استانبول، سنة ١٣٠٥هـ، ونسبه الطابع غلطًا إلى البركوي، أوله: الحمد لله الذي هدانا للعلم والإيمان، ونهانا عن الكفر والعصيان. إلخ. أخذه من «الفقه الأكبر»، و«عقيدة الطحاوي»، و«عقيدة عمر النسفي»، و«عقيدة السنوسي»، و«عقيدة السيوطي»، ورتبه على ثمانية أبواب، وهو كتاب جليل في بابه.

«أزهار الروضات، في شرح روضات الجنات»، أجاد فيه غاية الإجادة.

«المنيرة».

«مختصر الكافي في علم المنطق».

«شرحه».

«نور اليقين في أصول الدين» وهو شرح «عقيدة الطحاوي».

«تمحيص التخليص»، في المعاني والبيان والبديع، نقّح فيه «تلخيص الخطيب القزويني».

«شرحه»، وعلى هذا الشرح «حاشية» لرجل كان مفتيًا في بلدة جاقووا، في لواء بورة غا.

«رسالة في تحقيق لفظ جلبي».

«رسالة في بعض مسائل الفقه».

«حديقة الصلاة» شرح «مختصر الصلاة»، لكمال باشا زاده.

«شرح كافية ابن الحاجب»، في النحو. ذكره أوليا جلبي، في «رحلته».

«نظام العلماء إلى خاتم الأنبياء»، أوله: الحمد لله الذي زيّن الأرض بالعلماء إلخ. ذكر فيه سلسلة مشايخه في الفقه إلى الإمام أبي حنيفة، ثم منه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترجم كل واحد بترجمة حسنة.

«أصول الحكم في نظام العالم»، مختصر نافع جدًا. ذكره صاحب «كشف الظنون»، وهذه مقدمته أوردناها ليعرف قيمة الكتاب: حمدًا لك اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء، وصلاة وسلامًا على رسولك محمد سيد الأنبياء، وعلى آله

وأصحابه أولي الأبصار والآراء، ما دامت الأرض ودارت السماء. وبعد؛ فإن الفقير إلى الله الباري، كافي الأقحصاري، أعانه الله في ما استعانه، وصانه عما شانه، يقول: لما شاهدت سنة أربع وألف (١٥٩٥ - ١٥٩٦م) في نظام العالم خللاً، وانتظام أحوال بني آدم خصوصًا في دار الإسلام، أصلحه الله وسلمها إلى يوم القيام، فقليلًا بعد قضاء السنة والفرض، وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض، فألهمني بلطفه شيئًا من الحكم، وأفهمني من فضله ما لم أكن أعلم، ألقى على قلبي قوله: ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[١]. وشرح صدري للتأمل في أحوال الناس وأسباب تغيرهم، فلما تأملت بعونه اللطيف، في ما كان منذ عشر سنين ونيف، انكشف لي في ذلك وجوه وأسباب، والله تعالى أعلم بالصواب.

الأول: الإهمال، في العدالة والضبط بحسن السياسة، وسببه عدم تفويض الأمور إلى أهاليها.

الثاني: المسامحة في المشاورة والرأي والتدبير، وسببه العجب والكبر في الكبراء، واستنكافهم عن مصاحبة العلماء والحكماء.

الثالث: المساهلة في تدبير العسكر واستعمال آلات الحرب عند محاربة الأعداء، وسببه عدم خوف العسكر من الأمراء.

ثم سبب جميع الأسباب، وغاية ما في الباب، طمع الارتشاء، ورغبة النساء، فاستخرت الله تعالى باكيًا، وعن نكبات الدهر شاكيًا، فأخار لي أن أكتب مختصرًا مفيدًا في هذا الباب، يشتمل على كلمات من جوامع الكلم، في تجديد قواعد النظام، وكتابًا سديدًا يتضمن خلاصة أقوال أولي الألباب من المعارف والحكم، فاستصفيته من كتب قدماء العلماء، وكبراء الحكماء، خصوصًا من «أنوار التنزيل»، و«روضة العلماء». جعله الله تعالى العلي الأعلى عناية للأمراء، وهداية للوزراء، وأسوة للحكماء، ونصرة للفقراء،

(١) القرآن الكريم، سورة الرعد، ١١.

وسميته بـ «أصول الحكم في نظام العالم»، ورتبته على مقدمة وأربعة أصول وخاتمة، والله المستعان، وعليه التكلان ا. هـ.

ثم ذكر مقدمة في سبب نظام العالم، والأصل الأول في سبب نظام السلطنة وامتداده، والأصل الثاني في المشاورة والاستخارة والرأي والتدبير، والأصل الثالث في وجوب استعمال آلات الحرب والقتال وتدبير العسكر وتحريضهم، والأصل الرابع في أسباب الظفر، والعون من الله تعالى، وموجبات الهزيمة، أعاذنا الله تعالى منها، والخاتمة في الصلح والعهد.

«شرح أصول الحكم»، بالتركية. لا يخرج من تفسير اللفظ باللفظ، ولهذا الفقير شرح على «أصول الحكم» بالعربية، أوسع من شرح المصنف، والحمد لله تعالى.

«تاريخ غزوة اكري».

«شرح مقدمة الصلاة»، للفناري.

هذا ما وجدت من أسماء تآليفه. وقد قال ابن نوعي في «ذيل الشقائق»: له في أكثر الفنون تآليف مستقلة، وأما رسائله فلا تعد ولا تحصى ا. هـ .

ومن فضائل المترجم، اطلاعه على علوم كثيرة، كالفقه، والأصول، والكلام، والنحو، والصرف، والمنطق، والأدب، والتاريخ، والأخلاق، وغير ذلك، حتى قال الرحالة أوليا جلبي: كان فضلًا عن أنه مالك لجميع العلوم، نظير ابن جابر، في علم الكاف ا. هـ .

ومن فضائله زهده وورعه. حكى ابن نوعي، وكاتب جلبي، أنه صام الدهر نحوًا من ثلاثين سنة، وأنه كان يفطر في ثلاثة أيام مرة عشرين سنة، ويتخذ صوم داود شعارًا لنفسه، ويلبس مكان القميص اللطيف ثوبًا خشنًا، وكان يبغض مشايخ الطرق في زمانه، ويعترض عليهم ويقرعهم بحجج الشرع، ويقول: لو كانت الكرامة تنال بالرياضة لنلتها. يقول ذلك تواضعًا وهضمًا للنفس. وحكى غيرهما أنه كان في الطريق الموصل إلى بيته

محل يغنى فيه، ويضرب بآلات اللهو، فكان لا يمر من هذا الطريق إذا مشى إلى بيته، بل يذهب من طريق آخر أطول منه.

ومن فضائله، ما سبق التنبيه عليه في ترجمة بالي أفندي، وهو أنه في صحبة بالي أفندي سعى لتنزيه البلاد من أدناس الحمزويين، وردّهم إلى دائرة الشرع المنيف، وقد وفقهما الله تعالى لذلك.

ومن فضائله، أنه كان يحضر الغزوات، فيحرّض المؤمنين على القتال بفعله ولسانه، وقد حصل ذلك في عدة غزوات، ومنها أنه أسس بلدة غير بعيد من أقحصار، سميت بنوآباد[1]، وبنى فيها مسجدًا ومدرسة وتكية لأهل الذكر، ومكتبًا لتعليم الأولاد، وخانًا لنزول المسافرين وحمامًا، وأجرى في تلك البلدة ماء للشرب، وعقد حلقة الدرس فيها، فاجتمع حوله الطلبة يستفيدون من علمه الجم، وكرمه العميم، وهذه البلدة قد خربت الآن، فلا يرى منها إلا آثار ورسوم، بينها قبره قريبًا من المسجد. وقد مر على هذه البلدة الرحالة أوليا جلبي بعد موت المترجم بخمس وأربعين سنة وزار قبره، ووصفه. وهاك ترجمة ما قاله. قال: قبره تحت قبة ممتلئة بالأنوار، وهو تحت الأرض بهيئته البدنية، على سجادة مفروشة قال: وهذا الفقير نزل بنفسه تحت الأرض، ورآه بعيني رأسه. قال: وبذلك افتخر، ورائحة المشهد المسكية وعرفه العنبري إلى الآن يعطر دماغ الإنسان، وكفنه مستور بستور بيض. انتهى.

ومن فضائله أنه كان يقول الشعر باللغات الثلاثة، العربية والتركية والفارسية، وغالب ظني أنه هذين البيتين له، فإنه ختم بهما كتابه «أصول الحكم»، قال:

---

(١) لدينا هنا إشكالية حول بلدة «نو آباد». فقد نمت مدينة بروساتس أو آقحصار منذ أيام الأقحصاري حول القلعة القروسطية التي اشتهرت باسم «القلعة البيضاء» (بيوغراد) والتي ترجمها العثمانيون إلى «آق حصار». ويبدو أن الأقحصاري بنى آنذاك محلة جديدة دعيت باسم «الضاحية الجديدة» لأن المنشآت المذكورة هنا قد أدركها الرحالة المعروف أوليا جلبي خلال زيارته لمدينة بروساتس أو آقحصار عام ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م. ومع ذلك فإن جلبي يخلط الأمور كعادته ويقول إن الأقحصاري بنى في مكان مجاور «محلة جديدة على شكل قصبة يدعونها نو عباد وهي تشبه الجنة ولا تزال تنمو إلى اليوم». ويبدو أن هذا ينطبق على المدينة المجاورة دونيي وقف Donji vakuf، التي تبعد ٧ كم عن بروساتس أو آقحصار والتي كانت تسمى آنذاك نوفوسل Novosel أو نو عباد، ولكن جلبي حين مرّ بهذه البلدة آنذاك لم يشر إلى أنها تضم تلك المنشآت التي بناها الأقحصاري:
Hazim Sabanovic, Sarajevo (Svjetlost) vlija Celebi, Putopis,prevod i komentar1973, pp.131 - 133.

يـا عـالـمًـا بـجـمـيـعِ الـحــالِ والـطَّـلَـبِ
نـرجـو الـنـجـاةَ مِـنَ الأحــزانِ والـكَـرَبِ
أَعْــطِ الـخــلاصَ مِــنَ الأوزارِ قـاطـبـةً
وارحَــمْ عَـبـيـدَكَ خَـلِّـصْـنـا مِـنَ الـتَّـعَـبِ

وله بالفارسية:

هــرآن كـس كـه مــرا كـو يـد دعـايـي
بـخـواهـم مـغـفـرت از لـطـف رحـمـان[1]

هذه قطرة من بحر فضائله، وذرة من يم مناقبة، وفي هذا القدر كفاية، وإلا فترجمة حاله تحتاج إلى مصنف مفرد، رحمه الله تعالى رحمة واسعة[2].

(٥١)

حسن ضيائي الموستاري

شاعر قديم، من شعراء اللغة التركية، له «ديوان» شعر مرتب.

قال في «كشف الظنون»: ديوان ضيائي تركي، لحسن الموستاري، المتوفى سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة (١٥٦٤م)، وله في الزبدة بيتان ا. هـ[3].

ومن شعره تاريخ أنشأه حين أتم سنان بك بناء جامعه في بلدة جاينيجه[4] ، فوضع فوق باب الجامع، وهو:

قيـلـوب احـيـاسـنـان بـك أوز ديــار بن
يانوب بو جامعي قيلدي خوش إحسان

(١) ترجمته إلى العربية: كلُّ شيءٍ يدعو لي/ أطلبْ المغفرةَ من لُطْفِ الرَّحمن.

(٢) للمزيد عنه انظر مقالتنا في الموسوعة العربية، دمشق ٢٠٠١ ج ٣، ص ٦٢ ، وانظر عرضنا لكتاب منير مويتش «الأسلوبية العربية في أعمال حسن كافي الأقحصاري» الذي صدر مؤخرًا: تاريخ البلاغة العربية لدى كتاب البوسنة، جريدة «العرب»، الدوحة ٢٠٠٨/٣/٢٦ وقد حظي كتابه الأهم «أصول الحكم في نظام العالم» بطبعتين محققتين الأولى لـ نوفان الحمود (عمان ١٩٨٦) والثانية لإحسان العمد (الكويت ١٩٨٧) التي تتميز بدراسة واسعة عنه وعن أعماله.

(٣) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص ٧٩٨.

(٤) المقصود مدينة تشانيتشه Cajnice التي تقع الآن في أقصى جنوب شرقي البوسنة على الحدود مع صربيا.

تـفـكـر لــه جـيــقــار دم تــاريــخــنــي

كـوزل اولــدي مـنـاسـب بـيـت رحـمـان[١]

(٥٢)

حسن أفندي الأهله ونوي البوسنوي

أصله من بلدة أهله ونه[٢]، في الجهة الغربية من بوسنة.

كان مفتيًا في مدينة سراي، من سنة إحدى وعشرين وألف (١٦١٢م) إلى سنة ست وعشرين وألف (١٦١٧م).

وله تأليف في الفقه سماه «مجمع الفتاوى».

ولا ندري سنة وفاته.

(٥٣)

حسن قائمي بابا السرائي البوسنوي

ولد في بلدة سراي.

وارتحل في صغره إلى مدينة صوفيا، فلازم الشيخ مصلح الدين، من بلدة أوزيجه، وكان شيخ الطريقة الخلوتية، ومكث عنده حتى أجازه للإرشاد، ثم رجع إلى بلد ولادته، ولكنه تصادم مع أهل العلم، فأنكروا عليه كلامه، فذهب إلى بلدة أزوورنيق[٣]، فمكث بها إلى أن توفي سنة إحدى وتسعين وألف (١٦٨٠م). وبنى الناس على قبره تربة.

وكان ممن أولع بعلم الجفر، وألف كتابًا منظومًا سماه بـ «الواردات»، ملأه بالأخبار عما يأتي من انكسار دولة وقيام أخرى، وغلبة جيش وانهزام آخر، وفتح بلدة وضياع أخرى، وغير

(١) ترجمتها إلى العربية:
لقد أحيا سنانُ بك أُوَزُّ ديارين/ وفاضَ إحسانُه فبنى هذا الجامعَ
قدّمتُ زِنادَ فكري فأرّخْتُ له/ كوزل أولدي مناسب بيت رحمان.

(٢) المقصود مدينة ليفنو Livno التي تقع الآن في أقصى غربي البوسنة على الحدود مع كرواتيا.

(٣) المقصود مدينة زفورنيك Zvornik التي تقع الآن في أقصى شرقي البوسنة على الحدود مع صربيا.

ذلك، وكل ذلك يستخرج بحساب مخصوص، وقد كان بعض بسطاء الناس أقبلوا على كتابه، يستخرجون منه الأخبار الغيبية، فإذا رأوها كذبت قالوا غلطنا في الحساب.

وللمترجم أيضًا أشعارٌ باللغة البوسنوية[١].

(٥٤)

حسن بن نصوح البوسنوي

نعرفه بكتاب له سماه «مجمع ترجيح البينات»، ولا ندري شيئًا من ترجمة حاله سوى هذا.

(٥٥)

حسن أفندي البوسنوي

المعروف ببياضي زاده مكتو بجيسي

كان من العلماء المدرّسين، وتعلّم في استانبول.

وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائة وألف (١٧٠٩م)، وهو قاضٍ ببغداد.

(٥٦)

حسن أفندي بن سنان

الملقب ببياضي

أبوأحمد، وجدّ حامد، السابق ذكرهما[٢].

كان مدرّسًا بمدرسة الصحن في استانبول، سنة ثمان وأربعين وألف (١٦٣٨م)، ثم عُيّن قاضيًا بمكة سنة ثلاث وخمسين (١٦٤٣م)، ثم في بروسه سنة ثمان وخمسين (١٦٤٨م)، ثم في استانبول سنة إحدى وستين (١٦٥١م).

---

(١) هناك معطيات أخرى عن الشاعر حسن قائمي لدى د.شعبانوفيتش في كتابه «أدب مسلمي البوسنة باللغات الشرقية»:

Sabanovic, Knjizevnost Muslimana , pp.353 - 357

(٢) وردت ترجمة الأول تحت رقم ٢٢، وترجمة الثاني تحت رقم ٤٦.

وتوفي سنة ثلاث وستين وألف (١٦٥٢-١٦٥٣م).

ومن آثاره مدرسة بناها في استانبول، تسمى البياضية.

(٥٧)

حسن أفندي بياضي زاده بن أحمد أفندي

ابن حسن بن سنان

كان من القضاة.

توفي، وهو قاض في يكيشهر، سنة تسع وعشرين ومائة وألف (١٧١٦-١٧١٧م).

(٥٨)

حسن أفندي بن الشيخ عبدالله

شارح «الفصوص»

الآتي ذكره[١]

كان سنة خمسين وألف (١٦٤٠م) مدرّسًا بمدرسة الصحن، ثم سنة اثنتين وستين (١٦٥١-١٦٥٢م) صار قاضيًا في أزمير، وبعد ذلك سنة ثمان وستين (١٦٥٧-١٦٥٨م) صار قاضيًا في القدس.

وتوفي سنة تسع وستين وألف (١٦٥٨-١٦٥٩م).

(٥٩)

حسن أفندي البوسنوي

تلميذ شعبان أفندي النوسيلي الآتي ذكره[٢].

كان مدرّسًا في عدة مدارس باستانبول.

وتوفي سنة خمس وتسعين وألف (١٦٨٣-١٦٨٤م).

---

(١) تحت رقم ١١٣ ص ١٤٥.

(٢) تحت رقم ٩٥ ص ١٢٦.

(٦٠)

حسن أفندي المعبّر بن عمر آلاي بك الموستاري

ولد في بلدة موستار.

وأخذ العلم عن علماء بلاده، ثم سافر إلى استانبول، فأخذ من علمائها أيضًا، وانتسب إلى الطريقة النقشبندية، وأخذ الإجازة عن الشيخ عثمان الآتي ذكره[١]، ووعظ الناس مدة في مسجد الشيخ وفا باستانبول.

وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وألف (١٦٨٦-١٦٨٧م).

قال شيخي زاده، في «ذيله»: كان في تعبير الرؤيا نادرة الزمان.

وذكر عشاقي زاده، في «ذيله» أن قرة مصطفى باشا لما أراد السفر لمحاصرة بلدة وينا[٢]، رأى وهو في أدرنه رؤيا، ثم دعا المترجم ليعبرها له، فلما قصها عليه، صاح وقال: لا تذهب، ليس في سفرك إلا الشر، والنتيجة وخيمة. ولكن قرة مصطفى باشا لم يسمع ذلك، فسافر، فوقع ما سجله التاريخ.

(٦١)

حسن نظمي دده البوسنوي

ولد في مدينة سراي.

وأخذ العلم والتصوف عن توكلي دده، المار ذكره[٣]. وحضر دروسه في «المثنوي»، ثم رحل إلى استانبول، فأخذ إجازة الإرشاد، ثم سافر إلى قونيه، وزار قبر جلال الدين الرومي، ثم توجه إلى مصر، فلما وصلها عُيّن بها شيخ للطريقة المولوية، فقضى بقية عمره في تدريس «المثنوي» ووعظ الناس، ثم رجع إلى استانبول لشغل ظهر له، فأدركته الوفاة بها سنة خمس وعشرين ومائة وألف (١٦٨٦م).

وله أشعار باللغة التركية، ذكر أمثلة منها شيخي زاده، في «ذيله».

---

(١) تحت رقم ١٢٦ ص ١٥٧.

(٢) المقصود هنا توجه الصدر الأعظم مصطفى باشا لحصار فيينا في ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م والذي كانت نتيجته وخيمة كما يشير المؤلف لاحقًا.

(٣) ورد تحت رقم ٤٢ ص ٦٩.

(٦٢)

حسن بن مصطفى البوسنوي المدني

سبق ذكر ابنه أمين[1].

والمترجم ذكره صاحب «الأسانيد العلية المتصلة بالأوائل السنبلية».

وله رواية عن الشيخ عمر عبدالرسول المكي.

وروى عنه ابنه أمين.

ولا أدري تاريخ وفاته، ولا شيئًا من ترجمة حاله سوى ما ذكرت.

(٦٣)

حسين باشا البلغرادي

ترجمه صاحب «خلاصة الأثر»، فقال: حسين باشا بن رستم، المعروف بباشا زاده الرومي، نزيل مصر، واحد الدهر على الإطلاق، المحقق الفهامة، رأس الفضلاء في وقته، رأيت خبره في كثير من التحريرات والمجاميع.

وذكره الشيخ مدين القوصوني[2]، وقال في ترجمته: «مولده ببلغراد، في يوم الأربعاء، ثاني عشر شوال، وكان ذلك في أوائل فصل الخريف، من سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (١٥٥١م)، وقدم إلى مصر في سنة سبع وسبعين وتسعمائة (١٥٦٩م)، وحجّ منها إلى بيت الله الحرام، ثم رجع إلى البلاد الرومية، وعاد إلى مصر ثانيًا، وأقام بها. وكان والده من موالي السلطان سليمان، ثم إنه لم يزل ينتقل في الولايات، حتى صار أمير الأمراء بطمشوار، ولبودين. وكانت وفاته بها. وأما والدته فهي بنت إياس باشا، الذي كان رأس الوزراء في دولة السلطان سليم، وكان من موالي السلطان بايزيد بن محمد. وأخذ صاحب الترجمة من جماعة من الموالي العظام بالديار الرومية؛ منهم المولى يحيى، الذي كان متقاعدًا عن إحدى المدارس الثمان وكان أخًا للسلطان سليمان من الرضاع،

---

(١) ورد تحت رقم ٣٦ ص ٦٤.

(٢) رئيس الأطباء في مصر آنذاك وأديب ومؤرخ ترجم له المحبي أيضًا: خلاصة الأثر، ج٣، ص ٣٣٣ - ٣٣٤.

وكان السلطان المذكور يعظمه ويزوره أحيانًا ويقبل شفاعته. ومنهم المولى عبدالغني، ومنه المولى محمد بن بستان المفتي، ومنهم المولى فضيل بن المفتي علاء الدين الحمالي، ومنهم المولى محمد بن أخي، ومنهم المولى أبوالسعود المفتي العمادي، صاحب «التفسير»، وصار ملازمًا بمدرسة السلطان سليم الأول بقسطنطينية، ثم ترك ذلك وعزم على الإقامة بمصر، وطلب من السلطان أن يُعيّن له من بيت المال ما يكفيه هو ومن معه من العيال، من الدراهم والغلال، فعين له ذلك، ثم قدم إلى مصر، وأقام بها بالعزة والاحترام، مع الإحسان والشفاعات، في العلوفات والجرايات، للخاص والعام، وأنشأ بيتًا متسعًا مطلًا على بركة الفيل، جعله محلًا للجلوس فيه للواردين عليه» انتهى.

قال صاحب «الخلاصة»، ورأيت له ترجمة في «بعض المجاميع»، وأظنها من إنشاء بعض المصريين، قال فيه بعد ذكر اسمه وشهرته: غُرَّة جبهة الزمان، وواسطة الفضائل المزري بعقود الجمان، جر على هامة المجرّة ذيله، وأنار بقمر فضله...، فأصبح وهو عزيز مصره، والفاخر ذو التاج المحجب في قصره، أجرى بمصر نيله فأنجل نيلها، وما زال مانح الفضائل والفواضل ومنيلها. وأما أدبه فمادة البراعة الإحسان، القاصر عن نظمه ونثره سَحْبان وحَسّان. وما برحت كواكب فضله مشرقة لائحة، وسواكب أفضاله غادية رائحة، حتى وافته بأجله وفاته، وعفت آثاره وبكت عليه عُفاته.

قال المحبي: وأثبت له من شعره ما كتب به إلى القاضي محمد بن درّاز المكي، قوله:

علـى ألـمَـعِـيٍّ شـاقَـنـي بـخـيـالِـهِ
سـلامٌ يـحـاكـي مِـنْـهُ طـيـبَ خِـصـالِـهِ
عشقتُ ومـا أبـصَـرْتُـهُ غَـيْـرَ أَنَّـنـي
سمعتُ مِـنَ الـحـاكـيَن وَصْـفَ كمالِـهِ

وكتب إلى الشيخ عبدالرحمن المرشدي:

عـنـدي لـودّكَ فـاعْـلَـمْ ذاك مـيـثـاقُ
ولـلـتـمـلّـي بمـرأىً مِـنْـكَ أشـتـاقُ
ولـلـحـلـولِ بـأرضٍ أنْـتَ ساكـنُـهـا
قلبي بحادي الجَـوَى والـوَجْـدِ ينساقُ

قال المحبي: وظفرت له بقصيدة أثبتها له في ترجمته في كتابي «النفحة» ومطلعها:

أراكَ تَـــرومُ الــمَـجْـدَ ثــمَّ تُـسـاهِـلُ

وزامِـــلَـــةُ الــعُــمْـرِ الـيـسـيـرِ تـنـاقِـلُ

وهي قصيدة لا بأس بها، فارجع إليها في الكتاب المذكور.

وكانت وفاته بمصر، في آخر يوم الجمعة، ثالث رجب، سنة ثلاث وعشرين وألف (١٦١٤م)، دفن يوم السبت بالقرب من قبر القاضي بكار، رحمه الله تعالى ا. هـ[1].

وقال المحبي في «النفحة»، ونقلناه من نسخة مخطوطة منها: حسين بن رستم، المعروف بباشا زاده، نزيل مصر، صنديدٌ بطل، ومنطيق غير ذي خطأ وخطل، نهجه مستقيم، والدهر بمثله عقيم، بشيمٍ اقتضاها جدّه، وأورثه إياها أبوه وجَدّه، ومفخرة يتوشح برجائها، ومأثرة يترشح لابتدائها، إلى أخلاق ألطف من نعمة الوصال، وأرقّ من نسمة الشمال، تهديها البكور والآصال. أقام بالقاهرة زمانًا طويلًا، وأوسع بها الآمال إنعامًا وتنويلًا، بين قوم حروف السؤال لديهم زوائد، فما لأحد في عزهم مرتجى ولا له في مصائبهم فوائد، فازدهت به المواطن والمرابع، وأشار إليه حتى النيل بالأصابع. وله أخبار نشرت أعلام إفادتها في كل نادي، وأشعار لفصاحتها عند قس الإيادي أيادي، فمنها قوله في قصيدة كتب بها إلى المفتي سعد الدين يمدحه بها، ومطلعها:

أراكَ تـــرومُ المـجـدَ ثُـــمَّ تُـسـاهِـلُ

وزامِـــلَـــةُ الـعُـمْـرِ الـيـسـيـرِ تـنـاقـلُ

ونـفـسُـك زادتْ زَمْـعـهـا لا تـروعُـهـا

وتـغـفـلُ عـمّـا خـلَّـفـتْـكَ الأوائِـــلُ

وقـد طفلـتْ شـمـسُ الحـيـاةِ وبـعـدما

اخـتـفـتْ لا تـراهـا تـخـتـفي فـتـقـابلُ

وسلّت سيوفَ الشَّيبِ من غِمْدِها وقد

تـبـرّتْ لأن تـنـسـاخَ مـنـهـا الـكـلاكِـلُ

---

(١) المحبي، خلاصة الأثر، ج٢، ص ٨٩ – ٩٠.

سنابلُ أيامِ الهوى اصفرَّ لونُها
وأوشكَ أنْ حلَّتْ عليها المناجلُ
وشتّتَ نبلَ الحادثاتِ قَسيُّها
وتخطئُ إلا أن تُصابَ المقاتِلُ
فماذا التّواني والتكاسلُ غافلا
تنامُ وشُدّتْ في الحوالي حبائلُ
وما أنت في دنياك إلا معذَّبٌ
بروحٍ يعاني غمَّهُ ويمائِلُ
وجسمٌ يهادي بين موتٍ وسُقْمَةٍ
ولا ينثني عنه الأسى والنوازِلُ
فأيُّ صفاءٍ لم يشِنْهُ مكدّرٌ
وأيُّ وصالٍ لم يعقُبْهُ فاصلُ
إذا ما اعتراكَ الغَمُّ بالعُدْمِ فاعتبرْ
بأصدقِ قولٍ لا ترى مَنْ يجادلُ
تباعَدْ عن الدُّنيا وزائلْ نعيمَها
فكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائلُ
ينادي جميعُ الخلقِ حَيًّا وميِّتًا
ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطلُ
تطولُ بهادٍ في الأماني وإنَّه
تحوّل في ما لم يكن فيه طائلُ
فوالله خلّاقِ البرايا وربِّهِمْ
تَسُنُّ سُنوها والشُّهورُ مناصلُ
وترنو لآمالٍ بعُمْرٍ نهارُهُ
قصيرٌ وقيعانُ الأماني أطاولُ

رأيـتُ ذوي التِّيـجانِ ثُلَّـتْ عروشُـهُمْ
وتـنـظـرُ فـي الأركـــانِ يـومًـا عـنـادلُ
وتـغـتـرُّ بـالـدَّهْـرِ الـدَّنِّـيِّ وجـاهِـهِ
فمن رامَ بـالجـاهِ الـمُجاهـاةَ جاهـلُ
ولـو لـم تكُنْ تُجلـي السَّريرةُ بالتُّقى
صـبـاحـك لَـــهْـــواءُ ويـــومُـك هـــازلُ
فـلا تـعـتـمِدْ دهــرًا بُـلِـيْـتُ بـهِ فما
تـرى الخـلْـقَ إلا وهـو جـاءٍ وراحـلُ
ومـــن حـــام فـيـه سـاعـةُ مـسـتـقـرَّةً
عـلـى مـا ارتـضـاهُ فـهـو سـاهٍ وغـافـلُ
ولا تحـتـظـي فيـهـا الـبـرايـا فإنَّـهـا الْـ
دَقـيـقُ وأنَّـــاتُ الـدَّواهــي المنـاخـلُ

ومنها:

أيـا نـفسُ مـا هـذا التَّـنافسُ فـي المنى
أمـا تـنـظُـرينَ الـدَّهْـرَ مـاذا يـحـاولُ؟!
يُـــرَوّيـــك مـــن مـــاءٍ أجـــاجٍ مُـكَـدَّرٍ
وأريـــــك مـــنـــه سـلـسـل وهـــلاهـــلُ
تـــرومـــينَ عَـيْـشًـا رَائـقًـا ومـعـالـيًـا
وذلــك سـفـسـافُ حَــوَتْــهُ الحـسـائـلُ
وأَمْـلَـتْ لـك الأيـامُ فـي العصرِ برهةً
تمـرُّ بـكِ المـوتـى وتجـري المحـامـلُ
ولـيـلُ سبـيـلِ الـبَـيْنِ أسـودُ حـالـكٌ
وتُـــصـــطـــادُ أنمـــارٌ بـــه ورآبـــلُ
أتـسـري بـدجـيـاءِ الـلـيـالـي وأُطْـفِـئَـتْ
بـتـسـريـحِ أرواحِ الـذُّنـوبِ المشـاعـلُ

بـنـيـتِ ديــارًا قـد نَـبَـتْ عَـنْـكِ نـبـوةً
وتُـلْـهـيـكِ روضــاتٌ بـهـا ومـجـادلُ
سـتـثـوي بـقـاعٍ صـفـصـفٍ وتحـلُّـهُ
أوالـــي خـيـولٍ جُـلْـنَ فـيـه المغـاسـلُ
عَـمُـوا أيُّـهـا الشَّـافـونَ منها جيـادَهُمْ
ودمُّـوا وقـومـوا واستقيموا وجاملوا
صـبـاحـةُ فـجـرِ الـوصـلِ أبـدَتْ طـلاقـةً
ألا أيُّـهـا الإخــوانُ قـومـوا فـنـاولـوا
كـؤوس رحـيـقٍ فـاحَ كـالمسكِ نَشْرُهـا
بِـنَـشْـوَتـهـا تـنـسـي الـرَّدى وتجـامـلُ
تـسـيـحُ صـمـيـمَ الـقـلـبِ ظـمـيـاءُ كُـرْبـةٍ
إذا أبـطـأتْ فـي الـدُّور تـلـكَ الـذَّبـائـلُ
تجــودُ بـأفـنـانِ الـذُّنـوب جـوارحـي
وطَـرْفـي بـأقـطـارِ الـنَّـدامـةِ بـاخـلُ
أتــاك إلــهــي صــاغــرًا مـتـأسِّـفًـا
عـلـى مـا جـنـاهُ وهْـو جـدواكَ سـائـلُ
مُــقِــرٌّ بمـا يـكـبـو ويـهـفـو وذاكــرٌ
كـثـيـرَ خـطـيـئـاتٍ أقــلُّ وعــائِــلُ(١)

(٦٤)

حسين قاطر

ترجمه صاحب «خلاصة الأثر»، فقال: حسين بن مشيح - هكذا في بعض المواضع من «الخلاصة»، وفي بعضها بالسين المهملة مسيح. والله أعلم - المعروف بالقاطر، ومعناه البغل، نزيل دمشق. وكان فقيهًا عارفًا بأمور الناس، صاحب دربة، وكان يعرف

(١) المحبي، خلاصة الأثر، ج٢، ص ٨٩ - ٩٠.

اللسان الفارسي والتركي والبوسنوي، ولما ورد دمشق وتوطّنها تعلم اللسان العربي. وأقام بدمشق مدة عمره، وتزوج بإحدى ابنتي أبي المعالي دوريش محمد الطالوي مفتي دمشق[1]. وسكن في قاعته بمحلة التعديل هو وعديله علي الشاطر، وفيهما يقول الحسين البوريني يخاطب القاعة المذكورة:

يـا قـاعـةً لـيـس لـهـا مـن شَـبَـهٍ
يُـجـلـى بـهـا الـنَّـاظـرُ والخـاطـرُ
فـارَقَـهـا مـن كـان أهـلاً لـهـا
وحـلَّـهـا الـشَّـاطـرُ والـقـاطـرُ

وولي حسين النيابة بدمشق، وحمدت سيرته، وكانت وفاته في الخامس عشر من ذي القعدة، سنة اثنتين وثلاثين وألف (١٦٢٣م). وخلّف مالاً كثيرًا، وولدين: أحدهما زكريا، والآخر درويش محمد ا. هـ[2].

ويأتي ذكرهما في كتابنا هذا، إن شاء الله تعالى[3].

(٦٥)

حسين أفندي البوسنوي
المعروف بقوجه مؤرخ

كان أبوه حافظ الكتب في كتبخانة الغازي خسرو بك، في بلدة سراي[4].

وسافر المترجم مع السلطان مراد الرابع إلى بغداد، وبعد الرجوع تقلّد وظيفة رئيس الكتاب.

وكانت وفاته متقاعدًا في استانبول، سنة أربع وخمسين وألف (١٦٤٤م).

---

(١) انظر ترجمته أيضًا لدى المحبي: خلاصة الأثر، ج٢، ص ١٤٩ - ١٥٥.

(٢) المحبي، خلاصة الأثر، ج٢، ص ١١٨.

(٣) الأول تحت رقم ٨٣ ص ١١٥ ، والثاني تحت رقم ٧٧، ص ١١١.

(٤) من أشهر المكتبات التي استمرت من العصر العثماني والتي تتميز بغناها بالمخطوطات العربية والتركية والفارسية. للمزيد عن ذلك انظر مقالتنا بمناسبة صدور فهرس هذه المخطوطات: فهرس مخطوطات مكتبة الغازي خسرو بك، جريدة الحياة ٢٠٠١/٤/٢٧.

وله تآليف؛ منها «بدائع الوقائع»، وهو ترجمة «أخبار الأول»، ترجمه بأمر السلطان في مجلدين، وهو معدود من التواريخ المنقحة.

وكان المترجم عالمًا، مؤرخًا، عارفًا بعدة لغات؛ البوسنوية، والتركية، والعربية، والفارسية، رحمه الله تعالى[1].

(٦٦)

حسين أفندي البوسنوي

المعروف بمظفري

أخذ العلم عن العلماء المدرسين في مدرسة الغازي خسرو بك، في مدينة سراي.

ثم بعد أن تعلّم صار مدرّسًا بالمدرسة المذكورة، واشتهر بالمهارة في الوعظ وله شعر بالتركية.

وكان عارفًا بعلم النجوم معرفة تذكر عنه.

وكان في النصف الأول من القرن الثاني عشر. ولا أدري تاريخ وفاته.

(٦٧)

حسين بك آلاي بكي زاده

المتخلّص بميري

وسماه محمد طاهر باسم حسن.

أصله من بوسنة، وولد في بلدة بودين.

وسلك طريق التعلم، فأخذ عن علماء استانبول، وجدّ واجتهد إلى أن صار مدرّسًا، فدرّس في مدارس عديدة، وكان مدرّسًا في مدينة سراي.

(١) للمزيد عنه وعن أعماله انظر: ليوبوفيتش - غروزدانوفيتش، ص٢٥٣ - ٢٥٦.

وبها توفي سنة اثنتين ومائة وألف (١٦٩٠-١٦٩١ م).

وكان لعلمه، وحسن سيرته، محترمًا بين الأكابر والأصاغر.

وكان شاعرًا ماهرًا باللغة التركية، له أشعار كثيرة مدونة في «ديوان» مستقل.

وذكر شيخي زاده منها مثالًا.

(٦٨)

حسين الموستاري

المتخلّص بحسامي

عاش في آخر النصف الثاني من القرن الحادي عشر.

وكان شاعرًا باللغة التركية، ومن ضمن شعره قصيدة في عشرين بيتًا، يصف فيها وصول بهلوان اسمه شاهين إلى مدينة موستار، سنة ثمانين وألف (١٦٦٩م) وأنه جاوز حبلًا ممدودًا بين البرجين المبنيين على طرفي جسر تلك البلدة المشهور، وفيها يقول:

نامي شاهين ذاتى شاهين صنعتنده منتهى

موستاره كلدى بيك سكسانده برمرد سليم

شهرك أور تاسنده وار نهر عظيم أوستنده جسر

ارتفاعده اسكى سوز در سو يلنور مثل عديم

جانبيني ايكى قلله واردر أول دكلو بوجه

لأنه شاهين أو لور جمله بر وجي أي نديم[1]

---

(١) (١) **ترجمتها إلى العربية:**

اسمُهُ شاهينٌ وصفتُهُ الصَّقرُ وصنعته فائقةُ الإتقانِ/ جاءَ الرَّجلُ إلى موستارَ سنةَ ألفٍ وثمانين

ويوجدُ جسرٌ على نهرٍ عظيمٍ يخترقُ المدينةَ/ يُقالُ عنه أنَّه لا مثيلَ له في الارتفاعِ.

يعلو جانِبَيْهِ برجانِ عظيمانِ/ أيُّها النَّديمُ هذا من جملةِ البروجِ إنَّه شاهين.

(٦٩)

الشيخ حسين

المتخلّص بلا مكاني

ذكره كاتب جلبي، في «فذلكته» وقال: إنه بوسنوي.

وذكره ابن نوعي، في «ذيل الشقائق»، وقال: إنه ولد في ثغر بشته، وهي عاصمة بلاد المجر الآن[١].

ونشأ المترجم على طلب العلوم والمعارف، ثم انتسب إلى الطريقة البيرامية، ووصل إلى خدمة الشيخ حسن قبادوز البروسوي. وعاش مشتغلاً بالإرشاد، راضيًا بطريقة الزهاد، عاملاً بما قيل: وكل بلاد الله أوطان. فلذلك تسمى بلا مكاني.

وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين وألف (١٦٢٤-١٦٢٥م).

وقال كاتب جلبي: له «هوامش»، كتبها على بعض الكتب، تدل على أهليته في طريق النظر، وله أيضًا بعض المصنفات ا. هـ .

قلت: له كتاب بالتركية يسمى بـ «وحدتنامه».

وله شعر حسن، وغزليات مقبولة[٢].

(٧٠)

حلمي الموستاري

شاعرٌ، وهذا البيت له:

معرفت كسب ايلين بيهوده همت صرف ايدر

شمدي يكسان اولدي جونكيم كامل وأهل هوا[٣]

ولا ندري ترجمة حاله.

---

(١) المقصود بست التي اتحدت مع بودا لتكون بودابست عاصمة المجر.

(٢) هناك معطيات أخرى عن الشيخ حسين لا مكاني لدى د. شعبانوفيتش:
Sabanovic, Knjizevnost Muslimana, pp 2160219.

(٣) ترجمته إلى العربية: ينفِقُ جُهْدَهُ عبثًا مَنْ يسعى لكسبِ المعرفةِ/ قد استوى الآنَ الكاملُ والناقصُ.

(٧١)

الشيخ حمزة البوسنوي

سبق ذكر الحمزويين في ترجمة القاضي بالي أفندي[١]، والمترجم هو مؤسس طريقتهم.

ولد في بعض قرى بلاد بوسنة.

وكان منتسبًا إلى الطريقة البيرامية، وكان خليفة الشيخ حسام الدين الأنقوري، واستمر، وهو خليفته، خمسة أعوام، ثم ظهرت منه أمور غير ملائمة للشرع الشريف، فقتل باستانبول تحت القلعة، وكان من جملة من شهدوا على سبب قتله قاضي أدرنه صاري خواجه محمد أفندي، وبقي كثيرٌ من أتباعه بعد موته، حتى أبادهم القاضي بالي أفندي كما مرّ، وكان ذلك سنة تسع وستين وتسعمائة (١٥٦١–١٥٦٢م).

قال ابن نوعي: يحكى أنه حضر قتله أحد أحبائه، فلما رأى سقوط شيخه حمزة، أخذ سكينًا وذبح نفسه، وجعلها أضحية في سبيل شيخه. هذا معنى ما ذكره ابن نوعي، في ترجمة حمزة، ولا ندري ماذا كان يدعي، وأي شيء ظهر منه غير ملائم للشرع الشريف.

والذي أدركه أدرك أيضًا شيخه حسام الدين الأنقوري، فقد اتفق من ترجمه، كابن نوعي وشمس الدين سامي وعلي جواد، أنه ظهر منه أشياء مخالفة للشرع، وعلّلوا ذلك باستغراقه في الجذابة الإلهية. قالوا: فحبس في قلعة أنقرة، فلما أصبح الغد، وجدوه ميتًا، وذلك سنة أربع وستين وتسعمائة (١٥٥٦–١٥٥٧م). ولم يذكروا أيضًا ما ظهر منه. والله أعلم[٢]. **انتهى حرف الحاء المهملة.**

حرف الخاء المعجمة

(فارغ)

****

---

(١) وردت ترجمته تحت رقم ٣٩، ص ٦٧.

(٢) للمزيد عن الشيخ حمزة والحمزوية لدينا فصل كامل في كتاب جمال تشهايتش « الطرق الصوفية في أرجاء يوغسلافيا» الذي صدر عن معهد الاستشراق في سراييفو ١٩٨٦:

Dzemal Cehajic, Derviski redovi u Jugoslovenskim zemljama,Sarajevo (Orijentalni institut) 1986, pp.191 - 205.

حرف الدال

(٧٢)

درويش باشا بن بايزيد آغا الموستاري

ولد في بلدة موستار.

وذهب في صغره إلى استانبول، وتعلم هناك، واتصل بالكبار حتى بالملوك، وكان بعد ذلك مصاحبًا خاصًّا للسلطان مراد الثالث حتى إنه لقّب بالمصاحب، وكان السلطان يحترمه، ويستشيره في أمور كثيرة.

وترجمه الشيخ فوزي الموستاري، في كتابه «بلبلستان»، فقال: درويش باشا، رحمة الله عليه، ازكريدة أرباب لبابت وزبدة أصحاب بسالت أست وهمه أشعاروي نكته آميز ورشحات كلكش ايهام ريزست «دوديوان» دار ديكي فارسي ويكي تركيست هرد ولطيف ومعنى دار وظريف ونكته شعارست دوبار ببوسنة والى شده وسالى جندنيزدر أكره محافظ بود جنين مشهور أست كه ازكزيدة أولياء الله بودويادكار حضرت مولانا مثنوى راآغاز تنظير كرد جزئى دو ساخت شبى درخواب مولانا راديده ووى راكفته أى درويش كتاب من هركز تنظير نبذير داز اين سودا باز شو وانكه فارغ شد وآن دو جزكه نوشته من آنراديدم بسيار معنى دار ولطيف بودفقير جنين بندارم كه از وزراانجنان كامل ودانانيا مده أست ا. هـ. ثم أورد مثالًا من شعره الفارسي.

ومعنى ما قاله: درويش باشا، رحمة الله عليه، كان من خيار الحكماء، والشجعان العظماء، وكل أشعاره مملوءة بالنكت والتوريات، له «ديوانان»، أحدهما فارسي، والآخر تركي، وكلاهما لطيفان ظريفان محليان بالنكت. وكان والي بلاد بوسنة مرتين، وكان محافظًا ببلدة أكره عدة سنوات. وشهرته بلغت إلى حد أنه يعد من أولياء الله الكبار،

وكان بدأ يصنع إحياء لذكرى جلال الدين الرومي نظير كتابه «المثنوي»، فتم منه مجلدان، فليلة من الليالي رأى جلال الدين في منامه، وهو يقول له: درويش، كتابي لا يقدر أحد أن يعمل نظيره، فاترك ما كنت تظنه. فترك ذلك درويش باشا من حينه. وهذان الجزءان أنا رأيتهما، فرأيتهما لطيفين يحتويان على معان مثيرة، وأنا الفقير أظن أنه لم يكن بين الوزراء كامل وعالم مثله ا. هـ.

توفي شهيدًا، سنة اثنتي عشرة وألف (١٦٠٣م).

وله من الآثار سوى الديوانين، وتنظير «المثنوي» منظومة سماها «مرادنامه»، ترجم فيها كتابًا منظومة فارسيًا يسمى «سخانامه».

قال كاتب جلبي، في «كشف الظنون»: «سخانامه» فارسي منظوم لبنائي الشاعر، ترجمه درويش باشا للسلطان مراد خان ا. هـ.

وقال قنالي زاده، في «تذكرته»، في حق «مرادنامه»: وإن كان لدرويش باشا في منظومة «مرادنامه» نظم البنائي مثالًا ومقياسًا، ففي الحقيقة نظم البنائي بناءٌ بلا أساس بالنسبة إليه.

ومن جيد شعره التركي أبيات قالها قبل موته بليلة، وكان في موقع من الحرب تيقن فيه الموت، ورأى أن لا خلاص له، فقال:

حكيم مطلقك أو لمزسه كربر ايشده تقديرى

مفيدا ولمز هزار أرباب عقلك رأي وتدبيري

عنايت ايلسه بربنده سينه حضرت مولا

صواب اولور خطاسي هب كمال محض تقصيري

حذر منع قدر قيلمز ندكلو كوشش ايلرسك

قضاى مبرمك ممكن دكل سعييله تغييري

هزار ان جوشن وبولا ديله قات قات زره كيسه

كشى دفع ايلمز قوس قضادن اتيلن تيري

مـقـدر درغـنـا وفـقـر نـيك وبـدالـم جكمه
نـدر نـحـن قسمنا آيـتـينـك آكـلـه تفسيري

مـؤثـر در مـحـقق فـاعـل مـخـتـار هـرايـشـده
كـواكبـلـه فـلـكدن أى مـنـجـم بـيلـمه تـأثـيري

نه نقش ايتديسه استاذ ازل بى عيبدر جمله
كـمـال صنعنه ايـلـر دلالـت حـسـن تـصـويـري

علايقدن مجرد اول كه خورشيد جهان آسا
تجرد دن مسيحك أولـدي جرح جارمين بيري

ديـلـرسك راحـت دل أهـل تسليم وتـوكـل أول
قـبـول ايت جانيله درويـش بند حضرت بـيـري[١]

وهذه القصيدة له أيضًا يصف فيها بلد ولادته موستار:

بيان وصفه كلمز حسن بى همتاسي موستارك
عجبمي اولسك أي دل عاشق شيداسي موستارك

ـه أو لمـزبـو دنـيـاده مكر فــردوس أعــلاده
هـواى دلكش وآب حيات افزاسي موستارك

اشــا ايـلـين كـسـب حـيـات نـوقـيـلـور هـردم
مفرح در دلـى هـر كوشـه زيباسي موستارك

---

(١) **ترجمتها إلى العربية:**

لو لم يقدِّرْ لك الحكيمُ المطلقُ شيئًا/ لن يفيدَكَ تدبيرُ وحكمةُ آلافِ العقلاء
لو قدَّر الإلهُ العنايةَ بعبدِه فهو الصوابُ/ أما الخطأُ فمِنْ تقصيرِ ذلك العبد
اسْعَ كما شاءَ لك السَعْيُ فالحَذَرُ لا يمْنَعُ القَدَرَ/ فلا يمكنُ تغييرُ القضاءِ بالسعي
مهما يتدرَّعُ الإنسانُ بدرع من الفولاذِ والمَعْدَنِ/ فلن يَمْنَعَ السَّهْمَ المندفعَ مِنْ قوسِ القضاء
لا تتألَّمْ فالفقرُ والحالُ الطَّيِّبُ والحال السَّيِّءُ كُلُّها مُقَدَّرَة/ وإلا كيفَ تفسيرُ آية «نحن قسمنا»
في كلِّ استماعٍ يوجدُ مؤثِّرٌ حقيقيٌّ باختيارِ الفاعلِ/ لا أعلمُ أيَّ تأثيرٍ في الفَلَكِ والكواكبِ منجم
كلُّ ما كتبهُ أستاذُ الأزلِ (الله) فهو خالٍ من العيوبِ/ وحُسْنُ الخَلْقِ دالٌّ على كمالِ صنعِهِ
كُنْ مُتجرِّدًا من كلِّ العلائقِ مثلَ الشَّمْسِ في هذا العالمِ/ ومثل ما تجرَّدَ المسيحُ من صليبِهِ
وإذا طلبْتَ راحةَ القلبِ فتوكَّل (على الله) واسلِمْ لَهُ/ واستقبلْ الفقيرَ وهو في رحابِ حضرةِ الشيخ.

يـا هـيـلـه فـواكـه كـثـر تـيـلـه شـام ثـانـيـدر

بهشت آثار يدر هر روضه رعناسي موستارك

جهاني آراسك خلقى كبى قابل بولنمز هبج

قوابل كانيدر شهر جهان أراسـي موستارك

نـوبـار سيف وقلـم أهـلـي ايجنده ما تقدمدن

أولور حاصل دمادم كامل وداناسي موستارك

يانده طوطيان هندا ولور خاموش ودم بسته

بوكون درويش سن سين بلبل كوياسي موستارك(١)

وكان مكتوبًا على خاتمة «توكلي على خالقي»، وحوله هذا البيت:

يــا رب كـــرم تـــو بــحــر مـــواج

درويـــش غـنـى بـتـست مـحـتـاج(٢)

(٧٣)

الحاج درويش أفندي الموستاري

لا نعرف شيئًا من ترجمة حاله، إلا أن له قصيدة عارض فيها قصيدة درويش باشا في وصف بلدة موستار، وقصيدته دون قصيدة درويش باشا بكثير.

---

(١) **ترجمتها إلى العربية:**

يعجزُ البيانُ عن وصفِ جمالِ مدينةِ موستارَ فهي لا مثيلَ لها/ أَهُوَ عَجيبٌ أن يكونَ القَلْبُ عاشقًا لها مفتونًا بها

لا مثيلَ له في هذه الدنيا على الأقلِّ ربَّما كانَ في أعلى الجنانِ/ هواؤها يجذبُ القلبَ ودماؤها أكسيرُ الحياةِ

مَنْ يتفرَّجُ عليها يجددُ حياتَه في كلِّ آنٍ/ فكلُّ ركنٍ في موستارَ يبعثُ الفرَحَ في القلبِ الحزينِ

أنَّها الشامُ الثانيةُ بأنهارِها وكثرةِ الفاكهةِ بها/ فكلُّ روضةٍ غناءَ في موستارَ هي أثرٌ من آثارِ الجَنَّةِ

في وَسْطِ الدُّنْيَا خلِقَتْ من العدمِ/ وفي وَسْطِ ذلك العالمِ وجِدَتْ في مدينةِ موستار

فضلًا عن ذلك فهي تغصُّ بأهلِ السيفِ والقلمِ/ ففي كلِّ لحظةٍ تلدُ موستارُ عالمًا فاضلا

أيها الفقيرُ أنت اليومَ البلبلَ الصَّدَّاحُ في موستَارَ/ أنت يا مَنْ جعلَ ببغاءَ الهندِ تصمتُ بجانبِهِ وتحبسُ أنفاسَها.

(٢) **ترجمته إلى العربية:**

يا ربِّ إنَّ كرمكَ بحرٌ عالي الأمواجِ/ وقد جعلَتْ الفقيرَ غنيًّا وما به حاجَة.

وللمزيد حول درويش الموستاري انظر دراستنا: مجلة أوقاف، رقم ١٧، الكويت ٢٠١٠.

(٧٤)

درويش مصطفى

المتخّلص بكاتبي البوسنوي

أخذ العلم عن علماء بلاده، ثم ذهب إلى استانبول فأخذ عن علمائها، وانتسب إلى الطريقة المولوية.

وكان حسن الخط سريع القلم، كتب كتبًا كثيرة، ولذلك عرف بكاتبي.

وله أشعار باللغة التركية.

توفي في يكيشهر سنة ثمان وسبعين وألف (١٦٦٧ - ١٦٦٨م)[1].

(٧٥)

درويش سليمان

المتخلّص بمذاقي

ترجمه صاحب «خلاصة الأثر»، وذكره في حرف السين، فقال: سليمان البوسنوي، نزيل قسطنطينية، المشهور بمذاقي، أحد بلغاء شعراء الروم وأذكيائهم. وكان نديم الوزير الأعظم أحمد باشا الفاضل ومن خواصه وجلسائه المتقدّمين عنده، ولم يزل مكينًا لديه، حظيًّا بالتفاته، يُفضي إليه بسره، ويأمنه على أخباره، وصار كاتب ديوانه. ولم يزل عند أرباب الدولة في المكانة العلية؛ لاستعداد ذاتي فيه يقضي بتبجيله ولقربه من الوزير. وكان قبل اتصاله به جاب البلاد وساح الآفاق وهو على سمة الدراويش، ولديه معارف، وعنده فضائل، ودخل آخر أمره مصر وحاكمها أيوب باشا، فقربه وأدناه، وعرف مكانته، فجعله كاتب ديوانه، وصاحب حَلّه وعَقْده وكان شديد التولّع بالكيميا، لا يزال يفحص عنها من كل من يجتمع به، وصرف عليها أموالًا كثيرة، وبسببها اجتمع بكثير من أرباب

---

(١) يذكر شعبانوفيتش عن درويش مصطفى اهتمام المستشرق النمساوي هامر به وترجمة رباعية له:
Sabanovic, Knjizevnost Muslimana, pp.327 - 328.

المعرفة، والتقط من فوائدهم. وحدثني بعض أصحابه عنه أنه اجتمع في مصر بكنعان الكرجي، الذي اخترع البادزَهْر، المعروف بالكنعاني، وكان ينقل عنه أنه لما ابتدعه جرّبه لأمور كثيرة مرارًا، تحت تجربته، ومن أفضل خواصه دفع السموم. والآن قد اشتهر أمر هذا البادزَهْر، ورغب الناس فيه، وهم يتغالون في ثمنه. وذكر لي هذا الناقل أن صاحب الترجمة كان يعرف كيفية عمله، وكان لديه معارف كثيرة غيره. وكنت أنا بالروم أسمع خبره، وحرصت على الاجتماع به فلم يقدر لي. وتوفي بعد ذلك بقسطنطينية، وكانت له في سنة سبع وثمانين وألف (١٦٧٦م). انتهى[١].

وذكره المحبي أيضًا، في ترجمة المولى أحمد المنطقي، فقال: وذكر لي بعض الثقات من أهل الروم، أن الأديب شاعر الروم في وقته سليمان البوسنوي، المنعوت بمذاقي، وهو ممن أدركته بالروم، كان يقول في شعر المنطقي: إن كل غزل من شعره يعادل ديوانًا من شعر غيره ا. هـ[٢].

قلت: مذاقي هذا شاعر متين مشهور، أصله من بلدة جاينيجه، وهي بلدة في الجهة الشرقية من بلاد بوسنة، له بالتركية أشعار كثيرة دوّنها في «ديوان»[٣]، وكان منتسبًا إلى الطريقة المولوية، فلذلك يقول:

أي كوكل جون رهبر عشق أو لمغله عزم ايلدك

طوغري يول استرسه ك ايشته شاهراه مولوي

شوق مولانا ايله كردان أولورد يرسه فلك

مدعايه مهر ايله مهدر كواه مولوي[٤]

---

(١) المحبي، خلاصة الأثر، ج٢، ص٢١٣.

(٢) المحبي، خلاصة الأثر، ج١، ص١٩٧.

(٣) في كتابه «أدب مسلمي البوسنة والهرسك» يورد د. شعبانوفيتش أنه أنجز ديوانه في رمضان ١٠٨٧هـ/ الموافق ١٦٧٦ - ١٦٧٧م، ويضيف أن المستشرق النمساوي هامر ترجم بعض أشعاره، كما أن المؤرخين المعاصرين للأدب التركي يعتبرونه من الطبقة الأولى لشعراء المولوية:

Sabanovic, Knjizevnost Muslimana, pp. 343 - 346.

(٤) ترجمتها إلى العربية:

يا قلبي ها أنت قد عزمْتَ على السَّفَر مع دليلِ العشقِ/ فإن أَرَدْتَ الطريقَ الصحيحَ فهناك طريقُ المولويَّةِ
وإنَّ الفَلَكَ يدورُ بشوق مولانا / وإذا ادَّعى المدى فهناك القمرُ والشَّمسُ شاهدانِ للمولوي.

(٧٦)

درويش محمد

المتخلّص بميلي

ولد في مدينة سراي.

وكان منتسبًا إلى الطريقة القادرية، ثم صار شيخًا لتلك الطريقة في بلد ولادته بعد موت الشيخ محمد أفندي سكاكي.

وكانت وفاة المترجم في بلدة تراونيك، سنة خمس وتسعين ومائة وألف (١٧٨٠ - ١٧٨١م).

وبلدة تراونيك هي في الجهة الغربية من بوسنة، وهي مشهورة كانت محل جلوس الولاة مدة طويلة، ثم بعدها صار محل جلوسهم بلدة سراي[١].

وكان المترجم حسن الخط إلى الغاية، شاعرًا ماهرًا، له أشعارٌ كثيرة باللغة التركية، وامتاز بالإجادة في نظم التواريخ. وهذا البيت له، ولا بأس به:

جون حرام ايكن ربادوريله أولورمش حلال

يانيجون دوريله توحيدا يلمك أولوروبال[٢]

(٧٧)

درويش محمد بن حسين قاطر

ترجمه صاحب «خلاصة الأثر»، فقال: درويش محمد بن حسين بن مسيح الدمشقي، الحنفي المعروف بابن القاطر. وهو سبط أبي المعالي الطلوي، وربما أطلق عليه الطالوي أيضًا. كان فاضلًا، كاملًا، جيد الخط، منسوبه، بلغ الشهرة التامة في قبول خَطّه، والتنافس فيه، وكتب الكثير. وكان حسن المطارحة. لطيف المذاكرة، حلو الشكل، طوالاً. وكان يعرف الموسيقى جد المعرفة، وله شهرة بهذه المعرفة عند أرباب هذا الفن الحاذقين

---

(١) **المقصود مدينة ترافنيك Travnik التي ورد التعريف بها في صفحة ٢٦.**

(٢) **ترجمته في العربية:** لما أصبح الرِّبا الحرامُ حلالا/ فلماذا يكونُ التوحيدُ وبالا.